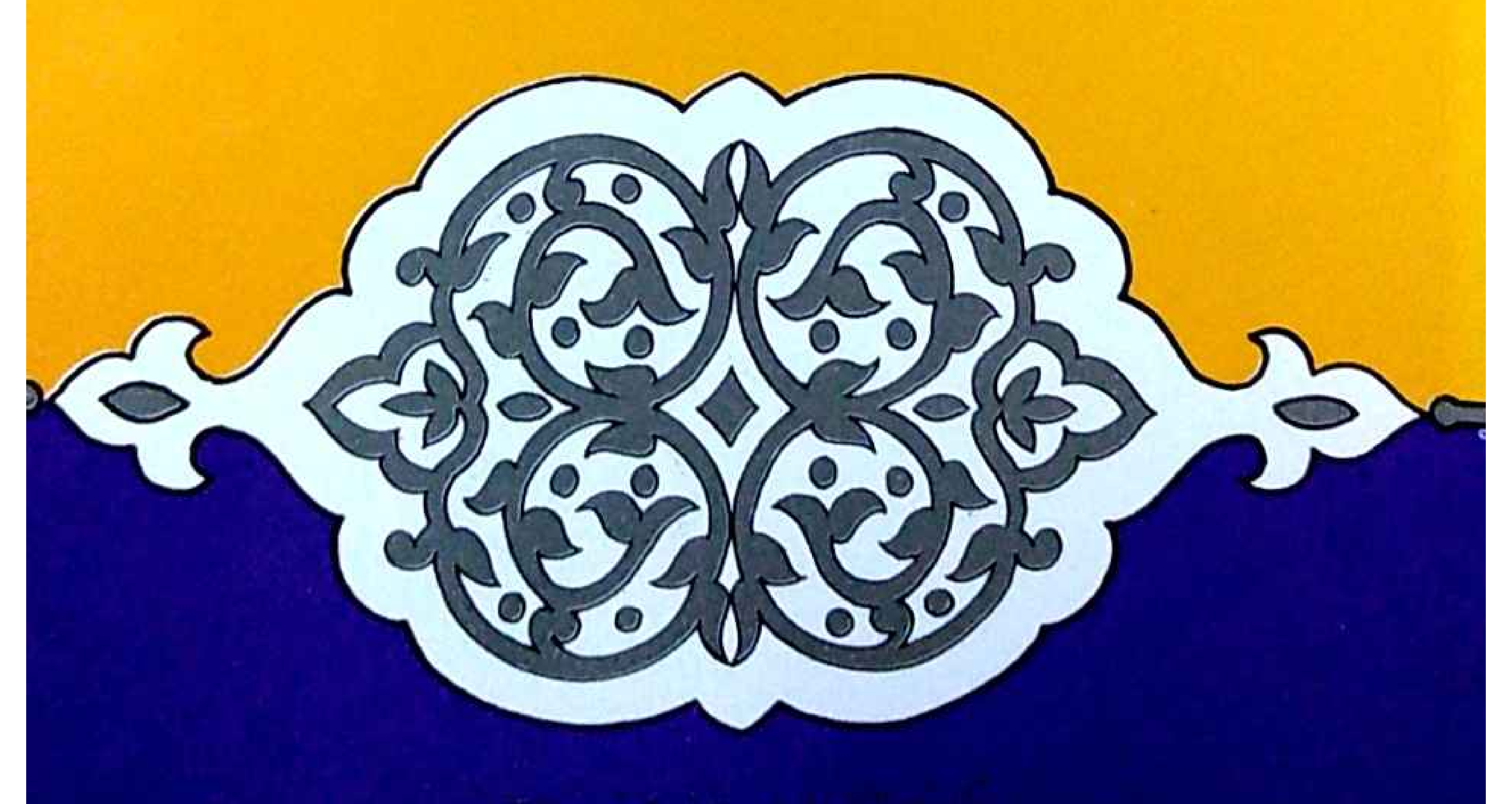
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠)

وفاة سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم وما فيها من الدروس والعظات والعبر

بقلم الفقير إلى عفو ربه

أحمد بن عبد الله السلمي

كاتب عدل الإحساء الأولى



﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠)

وفاة سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم وما فيهما من الدروس والعظات والعبر

اقرؤوا التَّاريخَ إذْ فِيهِ العِبَر ضَلَّ قَوْمٌ لَيْسَ يَدْرُونَ الخَبَر

وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ التَّارِيخَ عِبْرَة وَالدَّهْرُ ذُو عِبَرٍ لِمَن يَعْتَبِرُ

بقلم الفقير إلى عفو ربه

أحمد بن عبد الله السلمي

كاتب عدل الإحساء الأولى

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

لصاحبها سعد بن عبد الرحمن الراشد

الرياض

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

ح مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السلمي ، احمد بن عبد الله

وفاة سيد البشر - الرياض.

٩٤ ص ، ١٧ X ٢٤ سم

ردمك : ٩-٩٦-٨٣٠-٩٩٦٠

١- السيرة النبوية أ - العنوان

ديوي ٢٣٩ ٢٠/٤٠٩٠

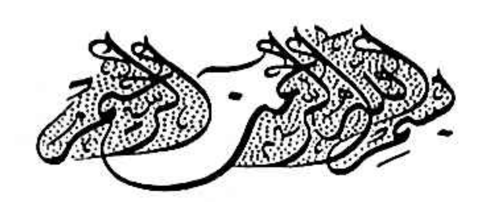
رقم الإيداع : ٢٠/٤٠٩٠

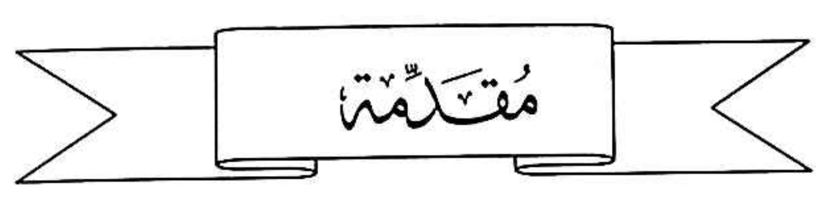
ردمك : ٩-٩٦-٨٣٠-٩٩٦٠

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

هاتف : ٤١١٤٥٣٥ - ٤١١٣٣٥٠
فاكس ٤١١٢٩٣٢ - ص.ب ٣٢٨١
الرياض الرمز البريدي ١١٤٧١

المقدمة





مُقدِّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } (١) .

{ يأأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً } (٢) { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً } (٣) .

أما بعد : يقول الله تبارك وتعالى : { كل نفس ذائقة الموت } (٤) ويقول سبحانه : { كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام } (٥) .

وهو القائل في محكم التَّنْزِيل : { كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون } (٦) .

---

(١) سورة آل عمران [١٠٢] .

(٢) سورة النساء [١] .

(٣) سورة الأحزاب [٧٠-٧١] . وهذه تسمى بخطبة الحاجة .

(٤) سورة آل عمران [٨٥] .

(٥) سورة الرحمن [٢٦-٢٧] .

(٦) سورة القصص [٨٨] .

ويقول ﷻ : { إنك ميت وإنهم ميتون } [(١)] ويقول ﷻ : { وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون } [(٢)] .

و إن من عدل الله ﷻ ورحمته وحكمته أن كتب على كل حي أن يموت ، لا فرق بين قوي وضعيف ولا بين كبير وصغير ولا بين نبي وغير نبي .

وإلا فلو كان لأحد أن يكتب له الخلود لخلد الأنبياء ، ولو كان لنبي أن لا يموت لبقي رسول ﷺ .

ولكن خاتم النبيين اختار الرفيق الأعلى وجوار ربه على البقاء في الدنيا بعد أن بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأُمة ، وإذا كان الموت حقاً فإن الأنبياء أول الخلق إيماناً به وتَقَبُّلاً له وتسليماً للرَّب ﷻ ... وها هو رسول الله ﷺ يموت بعد أن قاسى من آلام المرض ما لا يقاسيه إنسان من الشِّدَّة ، ويموت كما يموت أي إنسان [(٣)] .

ولله در القائل :

ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول الله حياً يخلد

وقول الآخر :

هو الموت فاصنع كل ما أنت صانع ... وأنت لكأس الموت لابد جارع

وقول الآخر :

استعدي يا نفس للموت واسعي ... لنجاة فالحازم المستعد

قد تبينت أنه ليس للحي ... خلود ولا من الموت بد

وقول الآخر :

يا ساهياً يا غافلاً عما يراد له ... حان الرحيل فما أعددت من زاد

تظن أنك تبقى سرمداً أبداً ... هيهات أنت غداً فيمن غدا غادي

و لم يكن أحد أكرم على الله من رسول الله ﷺ ، إذ كان خليل الله ونجيه وصفيه

---

(١) سورة الزمر [٣٠] .

(٢) سورة الأنبياء [٣٤] .

(٣) النَّهج المحمدي ، لعبد العزيز المسند (ص٣٤٦-٣٤٧) .

ورسوله ونبيه سيد الأنبياء وإمام المرسلين ﷺ ، فانظر هل أمهله ساعة عند حضور أجله ؟ وهل أخره لحظة بعد حضور منيته ؟ لا والله وصدق الله ﷻ : {وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً } [1] ، ويقول ﷻ : { لكل أجل كتاب } [2] .

بل عاين ﷺ سكرات الموت وغمراته وتجرع غصصه وكرباته ، فهل رأيت مقام النبوة دافعاً عنه مقدوراً ؟ هيهات هيهات .. وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وأول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم الورود .

قد مات كل نبي ومات كل نبيه

ومات كل شريف وعاقل وسفيه

لا يوحشنك طريق كل الخلائق فيه

---

(١) آل عمران [١٤٥] .

(٢) الرعد [٣٨] .

الأيام الأخيرة من أيام المصطفى ﷺ

إن ذكر هذا الموضوع يسكب الدموع من الأجفان، ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان ، ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان ،وهاأنذا أذكر مستعيناً بالله تبارك وتعالى الأيام الأخيرة من دنيا المصطفى ﷺ ووداعه لهذه الحياة وكيف فارقها، قصدت بذلك تذكير نفسي وإخواني بهذا الحدث الجلل والمصاب الأعظم ليكون تسلية لأهل المصائب والإحن وتذكيراً لأهل الغفلة والركون وقطعاً لآمال من جعلوا هذه الدنيا داراً للبقاء والخلود (١) .

إخواني : لمّا أشرقت الدنيا برسالته ﷺ ضياءً وابتهاجاً ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار ، وبلغ دينه القيِّم ما بلغ الليل والنهار ، ثم قَبَضَهُ الله ﷻ إليه لينجز له ما وعده به في كتابه المبين .

بعد أن بلغ رسول الله ﷺ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وأصبح الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك بعد أن قضى ثلاثاً وعشرين سنة في عبادة ربه وتلقي وحيه وتبيانه للناس وتعليمهم الهدى والحكمة وكان في كل حياته تلك حريصا على هداية الناس حرص الوالد على ولده بل أشد (٢) .

---

(١) خلق الله آدم من تراب الأرض ونفخ فيه من روحه فكانت روحه في جسده وأرواح ذريته في أجسادهم في هذه الدار عارية . وقضى عليه وعلى ذريته أنه لابد وأن يسترد أرواحهم من هذه الأجساد ويعيد أجسادهم إلى ما خلقت منه وهو التراب ووعد أن يعيد الأجساد من الأرض مرة ثانية ثم يرد إليها الأرواح مرة ثانية دائماً لا رجعة فيه في دار البقاء فذلك قوله ﷻ : { منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى } [طه : ٥٥] .

وقوله ﷻ : { إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً } [مريم : ٩٣-٩٥] [لطائف المعارف (ص١٩٢)] .

(٢) ما توفي رسول الله ﷺ إلا وقد بيَّن للأُمة جميع ما تحتاجه في جميع شئونها ، حتى قال أبو ذر ﷺ : (ما ترك النبي ﷺ طائراً يُقلِّبُ جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً) [أحمد (١٦٢،٥٣/٥) المجمع (٢٦٣/٨-٢٦٤) جامع العلوم والحكم (١٩٥/١)] وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي ﷺ : علمكم نبيكم حتى الخراءة - أي آداب قضاء الحاجة - قال : (نعم ...) [مسلم (٢٢٣/١-٢٢٤،٢٦٢) الترمذي (١٦) النسائي (٤٩،٤١) أبو داود (٧) ابن ماجة (٣١٦) أحمد (٤٣٧/٥-٤٣٩) ابن خزيمة (٨١،٧٤)] .

وكان ﷺ يحث أصحابه على ملازمة مجلسه الكريم ومشاهدته حضراً وسفراً للتأدب بآدابه وتعلم الشرائع وحفظها ليبلغوها ، وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته ﷺ ، ومنه قول عمر ﷺ : (ألهاني عنه الصفق في الأسواق) ؛ قال ﷺ : (والذي نفسي بيده ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني ، ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم) . والمعنى يأتي على أحدكم يوم لأن يراني فيه لحظة ثم لا يراني بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعاً [١] .

ثم حج ﷺ حجة الوداع التي ودع الناس فيها لينتقل إلى جوار ربه بعد أن قال ﷺ : (**ألا ليبلغ الشاهد الغائب**) [٢] [٣] .

فالنبي ﷺ بيّن كل الدين إما بقوله و إما بفعله وإما بإقراره إبتداءً أو جواباً عن سؤال ، وأعظم ما بيَّن ﷺ التوحيد ، وكل ما أمر به فهو خير للأمة في معادها ومعاشها ، وكل ما نهى عنه فهو شر للأمة في معاشها ومعادها .

(١) صحيح مسلم (١٨٣٦/٤-١٨٣٧رقم٢٣٦٤) تحقيق فؤاد عبد الباقي .

(٢) البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٤٤٠٦، ٣١٩٧، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (٤٩/٩-٥٠) (١١٦٨٣) ، صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم العلي (٥٤١) .

(٣) ومن الجدير بالذكر هنا : إيراد أهم وأبرز المبادئ التي أكدها الرسول ﷺ ، وأوصى أمته بها في حجة الوداع وهي كالتالي :

١- الإعلان عن حقوق المسلم ، وأنه محرم الدم والمال والعرض [مسلم (١٢١٨)] .

٢- الإعلان عن تحريم الظلم والربا وكل عادات الجاهلية الضارة [مسلم (١٢١٨)] .

٢- الإعلان عن حقوق النساء ، والأمر بالاعتراف بها وأدائها ، وكذا حقوق الزوج على زوجته [مسلم (١٢١٨) أبو داود (٣٥٦٥) الترمذي (٣٢٩٥) ابن ماجة (٢٢٩٥) عبد الرزاق (١٦٣٠٨) أحمد (٢٦٧/٥)] .

٤- تحريم الوصية للوارث ، وتقرير نظام التوارث كما في القرآن الكريم [عبد الرزاق (١٦٣٠٨) أحمد (٢٤٨/٥) أبو داود (٣٥٦٥)] .

٥- حُرمة التبني والانتساب لغير الأب أو تولي غير الموالي رغبة عنهم [أبي داود (٥١١٥) ابن ماجة (٢٧١٢)] .

٦- تقرير أن الولد ينسب إلى من ولد على فراشه ، وأن العاهر لا حق له فيه ، وإنما له الرجم بالحجارة إذا اعترف بالزنى [البخاري (٦٧٥٠، ٦٨١٨) مسلم (١٤٥٨) أحمد (٢٥/١، ٦٥) (٢٣٩/٢) النسائي (١٨١/٦) ابن ماجة (٣١٦/١) البيهقي (٤٠٢/٧) ابن حبان (٤١٠٤)] .

٧- أخبرهم أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه النَّاس على أموالهم وأنفسهم ، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب ، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله ﷻ ، وطلب ممن كانت عنده أمانة ليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

وبعد أن أقر الله عينه بدخول الناس في هذا الدين أفواجاً ، أذن الله لنبيه بفراق هذا العالم ، وأعلم بذلك فكان نزول سورة النصر إشعاراً بأنه فرغ من مهمته في الدنيا وأنه مودع لأصحابه في يوم من الأيام ، ومفارق لهذا العالم الفاني وراجع إلى ربه ليجزيه الجزاء الأوفى { وللآخرة خير لك من الأولى ۞ ولسوف يعطيك ربك فترضى } (١) .

٨- حذّر من الكذب عليه فقال ﷺ : (**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**) [البخاري (١٠٦،١٠٧) مسلم (٢) الترمذي (٢٦٦٠،٣٧١٥،١٥٢٥) أبو داود (٣٦٥١) ابن ماجة (٣٠،٣١،٣٢،٣٣،٣٤،٣٦،٣٧)] .

٩- أوصاهم بالاعتصام بالكتاب والسنة ، فقال ﷺ : (**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله وسنة نبيه**) [مسلم (١٢١٨)] .

١٠- وأوصاهم بأن المؤمنين إخوة وأنه لا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه [أحمد (٤٢٣/٣) الحاكم (٩٣/١)] .

١١- أمر بالسمع والطاعة لولاة الأمور مهما كان جنسهم أو لونهم أوضعفهم الاجتماعي ما داموا يقيمون فيهم كتاب الله ﷻ [مسلم (١٢٩٨)] .

١٢- قرر أن التفاضل بين الناس يكون بالتقوى وليس بأي اعتبار آخر .

١٣- الوصية بالأرقاء [أحمد (٣٥/٤)] .

١٤- وأوصاهم بأن ثلاثاً لا يغل عليهن قلب المسلم : إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين [أحمد (٨٠/٤،٨٢) الدارمي (٢٣١-٢٣٤) ابن ماجة (٣٠٥٦) الطبراني في الكبير (١٣٠/٢-١٣١) الحاكم (٨٧/١) الترغيب للمنذري (١٠٩/١)] .

من كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - دراسة وتحليل - الدكتور مهدي رزق الله أحمد (ص٦٨٣-٦٨٥) بتصرف وزيادة .

(١) سورة الضحى [٤-٥] .

إشارات النبي ﷺ إلى اقتراب أجله

لقد حج رسول الله ﷺ حجة الوداع (١) وفيها أشار في خطبته إلى اقتراب أجله قائلاً مراراً : (**خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**) . وفي لفظ : (**لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه**) (٢) . وفي لفظ : (**لتأخذ أمتي مناسكها**) .

وطفق يودع الناس فسميت حجة الوداع (٣) ، ولما نزل قوله ﷻ : { **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** } (٤) ، استشعر كبار الصحابة ﭫ وفاة رسول الله ﷺ ، وكانت قلوبهم وجلة واجفة هلعة خشية أن يكون أجل رسول الله ﷺ قد اقترب .

وبكى عمر ﭬ حين نزلت هذه الآية ، فقيل : ما يبكيك ، فقال ﭬ : (إنه ليس بعد الكمال إلا النقص) !! وكأنه استشعر وفاة النبي ﷺ (٥) وصدق ﭬ .

إذا تم شيء بدا نقصه   ترقب زوالاً إذا قيل تم

وأول ما أُعْلِم النبي ﷺ بانقضاء عمره واقتراب أجله بِنُزول سورة : { **إذا جاء نصر الله والفتح** } (٦) فإن المراد من هذه السورة إنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجاً فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد

---

(١) وكانت في السنة العاشرة من هجرة المصطفى ﷺ .

(٢) مسلم (٧٩/٤) والترمذي (١٦٨/١) وأبو داود (١٩٧٠) والنسائي (٥٠/٢) (٢٧٠/٥) وابن ماجة (٣٠٢٣) أحمد (٣٧٨،٣٦٧،٣٣٧،٣٣٢،٣١٨،٣٠١/٣) والبيهقي (١٣٠/٥) وابن خزيمة (٢٨٧٧) كلهم من حديث جابر وهذا من معجزاته ﷺ .

(٣) وتسمَّى أيضاً حجة البلاغ ، لأن النبي ﷺ بلَّغَ فيها الكثير من الأحكام [هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب (٤٦٥-٤٦٦)] .

(٤) سورة المائدة : [٣] .

(٥) تفسير ابن كثير (١٢/٢) وعزاه بإسناده إلى تفسير الطبري .

انظر : البداية والنهاية (١٨٤٩٥) وذهول العقول (١٢) .

(٦) سورة النصر : [١] .

والاستغفار [١] فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ . وما عندنا خير لك من الدنيا فاستعد للنقلة إلينا.

ولمّا نزلت : { إذا جاء نصر الله والفتح } [٢] قال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهم : (هو أجل رسول الله ﷺ نعي إليه) [٣] .

روى البخاري [٤] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما [٥] فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ : إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ هَذِهِ الآيَةِ : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } فَقَالَ : أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إلا مَا تَعْلَمُ) .

(١) إذا كان هذا رسول رب العالمين المغفور له ما تقدَّم وما تأخَّر يؤمر بأن يختم أعماله بالحسنى فكيف يكون حال المذنب المسيء المتلوث بالذنوب المحتاج إلى التطهير . [لطائف المعارف (ص١٩٩)] .

(٢) سورة النصر (١) .

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٢٤،٤٢٩٤،٤٤٣٠،٤٩٦٩،٤٩٧٠) الترمذي (٣٣٦٢) الدارمي (٧٩) أحمد (٣١٩١،٣١١٧،١٨٧٦،٣٣٤٣) .

(٤) (٤٤٣٠) وانظر الحديث الذي قبله .

(٥) يعني نفسه . قال الحافظ ابن حجر (٧/٧٣٧ فتح الباري) : (هو من إقامة الظاهر مقام المضمر) .

۞ **تجهيز جيش أسامة بن زيد (الحب ابن الحب رضي الله عنه) :**

ومع أن النبي ﷺ كان يتوقع الموت القريب وقد ظهرت إماراته ، كان قائماً بواجب التبليغ وإعزاز دين الله لآخر لحظة من لحظاته . فالواجب مستمر لا يعوقه مرض إن كان قادراً على الإرسال والبعث ولا يعوقه توقع الموت وقربه لأنه مادامت الحياة فتبليغ دين الله قائم .

رجع النبي ﷺ من حجة الوداع في أواخر ذي الحجة من العام العاشر ، وفي أواخر صفر من العام الحادي عشر ندب الناس لغزو الروم بالبلقاء وفلسطين ، وفيهم كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ودعا ﷺ أسامة بن زيد فأمره على هذا الجيش فطعن بعض الناس في إمارته فقام ﷺ فقال : (**إن تطعنوا في إمارته** - يريد أسامة بن زيد - **فقد كنتم تطعنون في أمارة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للأمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي من بعده**) [١] [٢] .

---

(١) البخاري (٣٧٣٠،٤٢٥٠،٤٤٦٨،٤٤٦٩،٦٦٢٧،٧١٨٧) مسلم (٢٤٢٦) الترمذي (٣٨١٦) أحمد (٢/٢٠،٨٩،١٠٦،١١٠) ابن سعد في الطبقات (٤/٦٥) صحيح السيرة النبوية (٥٥٢) .

(٢) وكان سبب طعن بعض الناس في إمارته لكونه صغير السن إذ كان ابن ثمان عشرة سنة وفي هذا بيان فضل أسامة بن زيد وأبيه رضي الله عنهما ومكانتهما عند الرسول ﷺ فلا صغر السن ولا الرق القديم الذي وقع على أبيه زيد منع رسول الله ﷺ من أن يجعله أميراً على جيش فيه عامة الصحابة في غزوة كبرى ، ولا شك أن النبي ﷺ لا يلتفت في ولاية إلا إلى الجدارة ، فمن استحق منصباً بكفايته قدّمه له غير مكترث بحداثة سنه ، فإن كبر السن لا يهب للأغبياء عقلاً ولا الصغر ينقص للأتقياء فضلاً :

فما الحداثة عن حلم بمانعة ... قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

وهكذا حطمت شريعة الإسلام قيم الجاهلية ومقاييسها التي كانوا يتفاضلون بها من عنجهية عربية وتفاخر بالأحساب والأنساب وفي هذا تقريرعملي لمبدأ المساواة في الإسلام .

وأيضاً فقد كان من التوجيهات النبوية الحكيمة إلى تهيئة الفرص للشباب الصالح وإثارة عزائمهم وهممهم إلى معالي الأمور وتعويدهم الإضطلاع بالتبعات الجسام والمهام العظام .

فرضي الله عن أسامة الشاب وهنيئاً له ثقة رسول الله ﷺ بكفاءة قيادته وصدق عزيمته وحسن إسلامه ، رضي الله عنه وجعله قدوة لشبابنا المؤمنين العاملين .

انظر : فقه السيرة للغزالي (٤٥٩) ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د : مهدي رزق الله أحمد (ص٦٨٦) ، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة لابن أبي شهبة (ص٥٨٦) ، السيرة النبوية دروس وعبر د : مصطفى السباعي (ص١٨٦) .

ومرض رسول الله ﷺ بعد البدء بتجهيز هذا الجيش بيومين و لم يتحرك هذا الجيش وظل معسكراً بالجرف ورجع إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ ، ثم أنفذه أبو بكر رضي الله عنه بعدما استخلف (١) .

وكان النبي ﷺ يعرض بقرب أجله و من ذلك أنه لما بعث معاذاً إلى اليمن وخرج معه يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي (٢) تحت راحلته فلما فرغ قال : (**يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك تمر بمسجدي هذا وقبري**) فبكى معاذاً جشعاً لفراق النبي ﷺ ثم التفت إلى المدينة فقال : (إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا) (٣) .

---

(١) وفي ذلك بيان كمال أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصادق وده وعظيم طاعته لرسول الله ﷺ حيًا وميتاً ، وذلك بإنفاذه جيش أسامة وفي أصعب الظروف وأشدها حلوكة .
[هذا الحبيب (ص٤٧١)] .

(٢) فيه إشارة إلى تواضع النبي ﷺ ، فإنه كان يمشي تحت راحلة معاذ وهو راكب .
وكان التواضع من شمائله ﷺ ولنذكر باختصار ماكان عليه من التواضع :
منها حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : (كان النبي ﷺ لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة) [النسائي (١٠٨/٣) الحاكم (٤٢٢٥/٢) ابن حبان (٢١٢٩موارد)] .
وحديث أنس رضي الله عنه قال : (كان النبي ﷺ إذا مر على الصبيان يسلم عليهم) [البخاري (٦٢٤٧) مسلم (٢١٦٨)] .
وعن الأسود رضي الله عنه قال : سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : (كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة) [البخاري (٦٧٦)] وفي رواية : (كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم) [أحمد (١٢١/٦،١٦٠،٢٦٠) ابن حبان (٢١٣٣موارد) ابن سعد (٢٥١/١)] .
وفي رواية : (كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه) [أحمد (٢٥٦/٦) ابن بان (٢١٣٦موارد)] .

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٤٠٤/٥-٤٠٥) أحمد (٢٣٥/٥) الطبراني (٢٤٢/٢٠) البزاز (٣٨٠/١كشف) ابن حبلك (٦٤٦/٢) ابن كثير في السيرة (١٩٣/٤) التبريزي في المشكاة (٥٢٢٧/٣) السلسلة الصحيحة (٢٤٩٧) .
في هذا الحديث دليل على جواز زيارة قبر النبي ﷺ ، وقد زعم بعض من لا خلاق له أن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يُنكِر ذلك .
قال العلامة الألباني : < وهذا الزعم باطل وافتراء على ابن تيمية - رحمه الله - فإن كتبه طافحة بالتصريح بشرعيتها وإنما يُنكر ابن تيمية قصدها بالسفر إليها المعنيّ بحديث : (لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد ...) > .
[السلسلة الصحيحة (٦٦٧/٥)] .

ومنها مسارته ومحادثته لابنته فاطمة – رضي الله عنها عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**) ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ ، فَقُلْتُ لَهَا : لِمَ تَبْكِينَ ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ ، فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ : أَسَرَّ إِلَيَّ: (**إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ وَلا أُرَاهُ إِلا حَضَرَ أَجَلِي وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي** [١]) فَبَكَيْتُ ، فَقَالَ : (**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ**) فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ) [٢] .

كما كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها أول لحوقاً به من زوجاته ، كما أخبر ﷺ بذلك ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً) قالت عائشة فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً ، فكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق) [٣] وهذا أيضاً من معجزات نبوته وأعلامها ﷺ .

ومنها : أن النبي ﷺ كان يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً [٤] .

وفي رجوعه ﷺ من حجة الوداع قال : (**ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيَ**

[و الحديث أخرجه : أحمد (٢/٢٣٤،٢٣٨،٢٧٨،٥٠١) عن أبي هريرة ، و(٦/٧،٣٩٧،٣٩٨) عن أبي بصرة الغفاري ، و(٣/٧،٣٤،٤٥،٤٦،٥١،٥٢،٥٣،٦٤،٧١،٧٧،٧٨،٩٣) عن أبي سعيد] .

(١) فكان كذلك ، وهذا من معجزاته ﷺ .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٣٦٢٣،٣٦٢٤) (٣٦٢٥،٣٧١٥،٤٤٣٣،٤٤٣٤،٦٢٨٥،٦٢٨٦) ومسلم (٢٤٥٠،٩٧،٩٨،٩٩) والنسائي في الكبرى (تحفة الأشراف ١٢/٣١٢، ١٧٦١٥) وابن ماجة (١٦٢١) .

(٣) مسلم (١٦/٨-٩) .

(٤) البخاري (٢٠٤٤) .

رسول ربي فأجيب) [١] [٢] .

كما ظهر لرسول الله ﷺ بعد ما جاء من حجة الوداع ما يدل على التأهب للسفر واللحوق بالرفيق الأعلى [٣] فصلى [٤] على قتلى أحد كأنه مودع أصحابه عن قريب كالمودع للأحياء والأموات وفي آخر شهر صفر خرج إلى البقيع [٥] من جوف الليل فدعا لهم واستغفر لهم وقال : (ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى) [٦] .

---

(١) مسلم (٢٠٤٨) النسائي في السنن الكبرى (٣٦٨٨،٢٠٣٨) الطحاوي في مشكل الآثار (٣٦٨/٤) أحمد (٣٧١،٣٦٧،٣٦٦/٤) الطبراني في المعجم الكبير (٥٠٤٠،٥٠٢٦) .

(٢) لنعلم حقيقة بشرية النبي ﷺ وأنه كغيره من البشر وقد ذاق الموت وعاني سكراته كما ذاقه من قبله إخوانه من الأنبياء والمرسلين . فأين الذين يقولون بأنه خلق من نور أو الخلق خلقوا من نوره أو خلقوا من أجله فيقولون (لولاك لولاك لم تخلق الأفلاك لولاك) . أو من يقول بأن رسول الله يعلم الغيب أو غيرها من الخرافات والأوهام ..... .

(٣) ومما تقدم من اجتهاد النبي ﷺ ومضاعفة الأعمال الصالحة لما شعر بقرب أجله تدل على أنه يجب على الإنسان المسلم كلما تقدم في العمر أن يجتهد في العمل على حسب القدرة والطاقة ليلقى الله على خير أحواله ولأن الأعمال بالخواتيم وخير الأعمال الصالحة خواتيمها [وداع الرسول ﷺ لأمته (٣٢) بتصرف] .

(٤) الأحاديث الصحيحة دلت على أن شهداء المعركة لا يصلى عليهم أما هذا الحديث فكأنه ﷺ دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعاً لهم بذلك .
الفتح (٢١٠/٣) (٣٤٩/٧) (٦١١/٦) ، ورجح ذلك العلامة ابن باز في تعليقه على فتح الباري (٦١١/٦) .

(٥) البقيع هو : مدفن أهل المدينة وسمي بقيع الغرقد لغرقد كان فيه وهو ما عظم من العوسج .
انظر : شرح النووي لمسلم (٤٦/٧) شرح الأبي لمسلم (٣٩٠/٣) .

(٦) أحمد (٤٨٩،٤٨٨/٣) البزار (٨٦٣كشف) الطبراني (٨٧٢،٨٧١،٣٤٧،٣٤٦/٢٢) الدارمي (٣٦/١-٣٧) الحاكم (٥٥/٣-٥٦) صحيح السيرة النبوية لابراهيم العلي (٥٥٣) .

ابتداء شكوى النبي ﷺ

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : (رَجَعَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْبَقِيعِ فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي وَأَنَا أَقُولُ : وَارَأْسَاهُ فَقَالَ : (بَلْ أَنَا وَاللهِ يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاهُ) قالت : ثُمَّ قَالَ : (وَمَا ضَرَّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي فَغَسَّلْتُكِ وَكَفَّنْتُكِ وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ ؟) قالت فَقُلْتُ : لَكَأَنِّي بِكَ وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَرَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي فَعَرَّسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ ، قَالَتْ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١) وتتام به وَجَعُهُ وَهُوَ يَدُور عَلَى نِسَائِهِ حَتَّى اسْتَعزبه وَهُو فِي بَيْتِ مَيْمُونَة (٢) ، فَدَعَا نِسَاءه فَسْتَأْذَنَهُن فِي أَنْ يُمَرْض فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ) (٣) .

وكان أول وجعه ﷺ هذا الصداع الشديد ثم ثقل عليه الوجع فكان حمى شديدة تنتابه وكان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي توفى طفقت عائشة تنفث على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وتمسح بيد النبي ﷺ (٤) (٥) .

---

(١) لم يشغله ﷺ ما يعانيه من مرض وما يشعر به من النهاية المحتومة من أن يقف من أهله كعادته موقف المداعبة فلقد وصفته أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أنه إذا خلا في بيته كان ألين الناس بساماً ليدخل بذلك السرور على أهله وهو بذلك يضرب للأمة أرفع الأمثال في حسن العشرة عملياً كما أرشد إلى ذلك بقوله ﷺ : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) [رواه الترمذي (٣٢٣/٢) الدارمي (١٥٩/٢) ابن حبان (١٣١٢) انظر السلسلة الصحيحة (٢٨٥/١)] .

(٢) وهو المعتمد أن بدء شكوى النبي ﷺ في بيت ميمونة أم المؤمنين ، ووردت روايات متعارضة أُخرى أنه اشتكى في بيت زينب بنت جحش أو ريحانة ، قاله ابن حجر [فتح الباري (١٣٠/٨)] .

(٣) البخاري (٧٢١٧،٥٦٦٦) ابن ماجة (١٤٦٥) أحمد (٢٨٨/٦) البيهقي (٣٩٦/٣) الدارقطني (٧٤/٢) ابن حبان (٦٥٥٢) الدارمي (٨٠) الحاكم (٥٦/٣) السيرة النبوية لابن هشام (٦٤٢/٢-٦٤٣) صحيح السيرة النبوية لابراهيم العلي (ص٥٥٤-٥٥٥) .

(٤) لأنها كانت أعظم بركة .

البخاري (٤٤٣٩) مسلم (٢١٩٢) النسائي (١٠) ابن حبان (٦٥٥٦) .

(٥) وفيه مشروعية الرقية وفضلها وكان ﷺ يرقي أصحابه بالقرآن أحياناً وبالأذكار والأدعية الأخرى وقد نقل الإمام النووي [شرح مسلم (١٦٩/١٤)] والحافظ ابن حجر [فتح الباري (٣٢٠/١٩)] وغيرهم الإجماع على مشروعية الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله تعالى وبأسمائه وصفاته وأن يكون باللسان العربي وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها وإنما المؤثر الحقيقي هو الله ، وقد ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– أنواع هجر القرآن فذكر منها هجر التداوي والاستشفاء بالقرآن . قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد (ص١٥٦) : (والخامس – أي

وكان ﷺ وهو في مرضه يدور على نسائه حتى اشتد به المرض فاستأذن [١] أزواجه أن يمرض في بيت عائشة فأُذِنَ له ، وخرج يمشي بين رجلين من أهله ، أحدهما الفضل بن عباس والآخر علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عاصباً رأسه تخط قدماه — بأبي وأمي أفديه ﷺ حتى دخل بيت عائشة – رضي الله عنها – ، فَمُرِّضَ في بيتها إلى أن مات فيه [٢].

والنبي عليه الصلاة والسلام مع ما كان به من شدة المرض كان يصلي بالناس جميع الصلوات وعندما زاد ثقل المرض عليه بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد قالت عائشة –رضي الله عنها – : قال النبي عليه الصلاة و السلام : (**أَصَلَّى النَّاس ؟**) قلنا لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله فقال ﷺ : (**ضعوا لي ماء في المخضب**) ففعلوا فاغتسل ثم ذهب لينوء [٣] فأغمي عليه [٤] ، ثم أفاق فقال : (**أصلى الناس ؟**) ووقع ثانياً وثالثاً ما وقع في المرة الأولى من الاغتسال ثم الإغماء [٥] ، والناس عكوف في

من أنواع هجر القرآن — هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به وكل هذا داخل في قوله تعالى : { وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا } [الفرقان : ٣٠] .

(١) وهذا يدل على شدة حرصه ﷺ وغاية عدله بين نسائه واهتمامه بهن حتى وهو على فراش المرض وعندما لم يطق الانتقال إليهن استأذنهن ﷺ أن يمرض عند عائشة – رضي الله عنها – فأذن له ﷺ .

(٢) تقدَّم تخريجه .

(٣) لينوء : لينهض بجهد ، فتح الباري (١٧٤/٢) .

(٤) ومنه يؤخذ جواز المرض والإغماء على الأنبياء بخلاف الجنون ، فإنه لا يجوز عليهم لأنه نقص ، والحكمة من مرض الأنبياء لتكثير أجرهم ورفع درجاتهم وتسلية الناس بهم ، ولئلا يفتتن الناس بهم فيعبدونهم لما يظهر على أيديهم من المعجزات والآيات البينات ، وهم مع ذلك لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله ﷻ .

انظر : وداع الرسول لأمته للقحطاني (ص٦٨) .

(٥) انظر كيف كانت متابعة النبي ﷺ لصلاة المسلمين في مرض موته فكلما أفاق من إغمائه سأل "أصلى الناس ؟ " وكان هذا أربع مرات ولما أن وجد في نفسه خفة حرص على صلاة الجماعة واللقاء بأصحابه رضي الله عنهم فخرج بين رجلين من أصحابه رضي الله عنهم وما كان من النبي ﷺ في مرض موته يدل على عظمة الصلاة وأهمية الجماعة ومكانة المسجد في الإسلام ... إنه في مرض الموت يتابع أمر الصلاة فيا أيها الأصحاء المعافون ؟ ويا أيها الشباب ؟ ويا من تنعمون بالقوة والنشاط ؟ كيف ترضون لأنفسكم التخلف عن المسجد والجماعة ؟ وما الذي ستفعلونه بالصلاة إذا مرضتم ؟ ...

أيها الأخ الكريم : إن الإنسان يوم يترك الصلاة يكون إنساناً لا قدْر له ولا حرمة له ، ولا مكانة ولا وزن ، نعم إن الإنسان حين يترك الصلاة يكون دمه رخيصا لاوزن له ، لأنه بذلك قد أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة وباتت حياته فارغة من القصد خاوية من معناها الأصيل الذي تستمد منه قيمتها الأولى وانتهى به ذلك إلى الضياع المطلق الذي يصيب كل كائن لا يفر إلى الله لأداء الوظيفة التي خلق الله تعالى العباد لها ومنحهم وجودهم ليؤدوها قال تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} [الذاريات : ٥٦] .

والله تعالى أخبرنا عن جيل من الأجيال تهاونوا بالصلاة فقال ﷻ : { فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً } [مريم : ٥٩] قال أحد السلف أما إنهم ما تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها , فأي إسلام لإنسان يترك الصلاة ؟! وأي دين له ؟! .

وما معنى شهادة أن لا إله إلا الله لإنسان تؤخره تجارته أو وظيفته عن الصلاة ثم يتبجح بعد ذلك مدعياً أنه مسلم !! .

لقد أخبرنا الله تعالى عن موقف المنافقين تجاه الصلاة فقال ﷻ : { إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا} [النساء : ١٤٢] إن حال المنافقين في كل أمة وملة أنهم يخادعون ويكذبون ويكيدون ويغشون .

إنهم حين يقومون إلى الصلاة يقومون إليها كسالى يقومون إليها متثاقلين متباطئين ليست لديهم رغبة تبعثهم على عمل ولا نشاط يدفعهم على فعل ، لأنهم لا يرجون ثواباً في الآخرة ولا يخشون عقاباً إذ لا إيمان لهم وإنما يخشون الناس فإذا كانوا بمعزل عن المؤمنين تركوا الصلاة وإذا كانوا معهم سايروهم بالقيام بها .

أيها الأخ المبارك : إن كثيراً من الناس اليوم يصلون ولكن صلاتهم للعصر مع غروب الشمس وصلاتهم للفجر مع طلوع الشمس !! فأين الإسلام ؟! وأين الإيمان ؟! أين تلفظهم بلا إله إلا الله ؟! أين تحمسهم لدينهم؟!

إن القلب ليتفطر ألماً وحزناً حين تدعو أحدهم إلى المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد وتؤكد على صلاة الفجر مع الجماعة فيجيب : إنني أصلي الفجر قبل طلوع الشمس !!! أهذا عمل نقابل به الله تعالى يوم القيامة يوم أن يسألنا عن الصغير والكبير والحقير والعظيم ؟ !! .

اللهم إليك نشكو حال قوم أصبحت الصلاة عندهم آخر شيء يفكرون فيه ... وإننا لنذكر هذا ومن كان على شاكلته بقوله عليه الصلاة والسلام : (والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب فأحرق عليهم بيوتهم) [أخرجه البخاري وغيره] .

إنه لا عذر لأحد في ترك الصلاة مع الجماعة مادام صحيحاً سليماً قال ابن مسعود – رضي الله عنه – : (ولقد كان يؤتى بالرجل يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) [أخرجه مسلم وغيره] .

يقول أحد السلف وقد تجاوز عمره التسعين سنة : (ما صليت منفرداً إلا مرتين) .

ويقول أحدهم : (أربعون سنة ما فاتتني تكبيرة الإحرام ولا نظرت إلى قفى غير الإمام) .

ويقول أحدهم : (إذا رأيت الرجل لا يبالي بتكبيرة الإحرام فاغسل يدك منه) .

هذا هو حال المسلمين الأوائل تجاه الصلاة وفي حال المرض فبماذا يجيب الآن من هم في كامل صحتهم وقوتهم؟!!

وبماذا يجيب من أعطاهم الله ﷻ كل شيء وهم قد بخلوا بعدة دقائق يتصلون فيها بمن تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيها بالذي له الأمر من قبل ومن بعد ؟!! فبماذا سيلقى هذا ربه يوم أن يسأله عن الصلاة ؟!! .

فيا عبد الله ، الله الله في الصلاة فإن من حافظ عليها حفظه الله ومن ضيعها ضيعه الله ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة .

المسجد ينتظرون رسول الله يصلي بهم فأرسل إلى أبي بكر ﷺ أن يصلي بالناس ، فوجد ﷺ في نفسه خفة فخرج على الناس وهم يصلون الظهر وهو يهادى بين رجلين فلما رآه أبو بكر أراد أن يتأخر فأومأ إليه أن مكانك ، ثم جلس إلى جنب الصديق ، فجعل أبو بكر ﷺ يصلي بالناس قائماً والرسول ﷺ يصلي وهو قاعد [١] فمن قائل إن رسول الله ﷺ صلى مأموماً وراء أبي بكر ﷺ ، ومن قائل إن رسول الله ﷺ تولى الإمامة وصلى أبو بكر ﷺ بصلاة النبي ﷺ وصلى الناس بصلاة أبي بكر ، ولعل الأول أرجح لأنه دلَّ على مترلة الصديق وأحقيَّته بالخلافة [٢] .

وكانت هذه آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ مع المسلمين .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما استعز [٣] برسول الله ﷺ قال : (**مروا أبا بكر فليصل بالناس**) قالت : قلت يا نبي الله إن أبا بكر رجل رقيق [٤] ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن ، قال : (**مروه فليصل بالناس**) قالت : فعدت بمثل قولي فقال : (**إنكن صواحب يوسف** [٥] **فمروه فليصل بالناس**) قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه

فالزم يديك بحبل الله معتصماً   فإنه الركن إن خانتك أركان

[من وقفات لابد منها لعبد الحميد السحيباني (صفحة ٣٤-٣٩)] .

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧) مسلم (٩٠/٤١٨) النسائي (٨٣٤/٦٠١/٢) البيهقي (٨٠/٣) الدارمي (٢٨٧/١) ابن خزيمة (١٦٢١/٥٥/٣) .

(٢) البداية والنهاية (٢٣٤/٥) .

ورجح العلامة ابن باز حفظه الله تعالى أن النبي ﷺ لم يصل خلف أحد من أمته إلا عبد الرحمن بن عوف .

قلت : أما الصلاة التي صلاها مع أبي بكر فإنه هو الإمام كما تقدَّم والله أعلم .

انظر : وداع الرسول ﷺ لأمته (ص٦٧) .

(٣) استعز برسول الله ﷺ : اشتد به وغلبه على نفسه .

(٤) وفي رواية : (رجل أسيف) أي شديد الحزن .

(٥) أي في إظهار خلاف ما في الباطن ؛ فزليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام والضيافة ، ومرادها زيادة على ذلك وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف ويعذرنها في محبته ؛ وأما عائشة فأظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يُسمع المأمومين القراءة لِبكائه ، ومرادها زيادة على ذلك ، وهو أن لا يتشاءم الناس به . . باختصار من الفتح (١٨٠/٢) .

أبداً وأن الناس يتشاءمون به في كل حدث كان، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر) (١) .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : (خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ عَاصِبًا رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ حَتَّى أَهْوَى نَحْوَ الْمِنْبَرِ فَاسْتَوَى عَلَيْهِ وَاتَّبَعْنَاهُ قَالَ : (**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَنْظُرُ إِلَى الْحَوْضِ مِنْ مَقَامِي هَذَا**) ثُمَّ قَالَ : (**إِنَّ عبدًا عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا فَاخْتَارَ الآخِرَةَ**) قَالَ فَلَمْ يَفْطِنْ لَهَا أَحَدٌ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ ، فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَبَكَى ثُمَّ قَالَ : بَلْ نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ثُمَّ هَبَطَ فَمَا قَامَ عَلَيْهِ حَتَّى السَّاعَةِ) (٢) .

وكان ﷺ في كل حياته لا تراه إلا مستعداً للقاء الله عز وجل متأهباً للدار الآخرة يخاف من إقبال الدنيا عليه بل همه الآخرة فلم يترك شيئاً من مال إلا أخرجه لله فتصدق به .

فعن موسى بن جبير عن أبي أمامة بن سهل قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير يوماً على عائشة رضي الله عنها ، فقالت : (لو رأيتما نبي الله ﷺ ذات يوم في مرض مرضه ، قالت : وكان له عندي ستة دنانير – قال موسى أو سبعة – قالت : فأمرني نبي الله ﷺ أن أفرقها ، قالت : فشغلني وجع نبي الله ﷺ حتى عافاه الله ، قالت : ثم سألني عنها فقال : (**ما فعلت الستة قال أو السبعة**) .

قلت : لا والله لقد كان شغلني وجعك .

قالت : فدعا بها ثم صفها في كمه فقال : (**ما ظن نبي الله لو لقي الله عز وجل وهذه عنده**) (٣) .

---

(١) مسلم (١/٩٤،٣١٣) وأحمد (٦/٢٢٨،٢٢٩) السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٧٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦) مسلم (٢٣٨٢) الترمذي (٣٦٦٠) أحمد (١٠٧٥٠) الدارمي (٧٧) واللفظ له.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٤٢١٢،٢٣٧٠٢،٢٤٩٦٤،٢٤٠٣٩) [(الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لأحمد عبد الرحمن البنا (٢٢/٧٠٢)] وانظر الرقة والبكاء لابن قدامة (٥٣) .

– وفي هذا الحديث أسف النبي ﷺ لكونه نسي هذه الدنانير القليلة فلم يتصدق بها قبل أن يدركها المساء عنده .

– وفيه غاية الزهد في المال وعدم الاكتراث به .

وعرض ﷺ نفسه للقصاص[1] قائلاً : (**من كنت جلدت له ظهراً فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه**) ثم نزل فصلى الظهر ثم عاد لمنبره لمواصلة حديث الحقوق وغيرها فقال رجل : إن لي عندك ثلاثة دراهم فقال ﷺ : (**أعطه يا فضل**) وقال آخر : إنه غل ثلاثة دراهم ، فقال : (**خذها يا فضل**) [2] . ثم أوصى رسول الله بالأنصار خيراً .

فعن حديث ابن عباس رضي الله عنهما خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصبت بعصابة دسماء إلى صفراء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أما بعد إن الناس يكثرون ويقل الأنصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام فمن ولي منكم شيئاً يضر فيه قوماً وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم) فكان آخر مجلس جلس فيه النبي ﷺ [3] .

وكان المسلمون لا يفارقون المسجد في مرضه ﷺ تركوا الطعام والأهل والبيوت وامتلأ المسجد إلى خارجه ، وتجد في الصفوف الأخيرة علياً وعثمان وعمر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم لا يهنأون بطعام ولا بمنام يتتبعون أخبار رسول الله ﷺ .

- إذا كان هذا سيد الأنبياء وخاتم ﷺ المرسلين وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف حال من لقي الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة وما ظنه بربه تعالى حين يلقاه .

(١) يريد ﷺ أن يلقى ربه خالياً من الذنوب وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فدعا ﷺ أمته إلى القصاص ويستوقفنا هذا الموقف العظيم الحاسم رسول الله ﷺ وهو يستعدي الناس على نفسه ويطلب أن يستقيد منه كل صاحب مظلمة في النفس أو العرض أو المال وهو ﷺ الشخصية الفذة والأنموذج الرفيع للبشرية الكاملة واضع الأسس للعدل والقائم به بين الناس .

إنه أراد أن يرسم للأمة بهذا الموقف خطورة المظالم وما تدره من تبعات ويوجه إلى ضرورة التحلل منها واسترضاء أهلها ذلك لأنها لا تغفر فيما يغفره الله للعبد من سقطات وهفوات بل يقتص بها للمظلوم من ظالمه في يوم لا ينفع فيه الفداء أو يملك فيه العبد ديناراً ولا درهماً وكذلك أمعن رسول الهدى ﷺ في التحلل من المظالم .

فكيف حال من يلقى الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة . فهل وعت البشرية حاكما وراعياً في رعيته مثل محمد بن عبد الله ﷺ وهل يوجد أمثال هذه النماذج إلا ممن تخرج من مدرسة النبوة . ألا فلتشهد الدنيا إلى أي حد وصل عدل الحاكم مع المحكومين وإلى أي حد بلغت المساواة .

(٢) البخاري (١٤/٣٧٣/ح٣٧٩٩-٣٨٠١) مسلم (٤/١٩٤٩/ح٢٥١٠) .

(٣) البخاري (٩٣٧،٣٦٢٨،٣٨٠٠) .

وفي مرضه ﷺ في يوم الاثنين يقول الصحابة : (كشف النبي ﷺ ستر حجرة عائشة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف [١] ثم تبسم يضحك[٢] ﷺ فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ ، وظننا أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة فأشار أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر وتوفي من يومه ﷺ [٣] .

إنها النظرات الأخيرة نظرة الوداع .

همت بتوديع الحبيب فلم أطق فودعته بالقلب والعين تدمع

وكان يقول في مرضه الذي مات فيه : (**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَري [٤] من ذلك السم**) [٥] وهكذا رزق ﷺ

---

(١) عبارة عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته .
[صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي (ص٥٧١)] .

(٢) وفرح أصحابه غاية الفرح ظناً أن رسول الله ﷺ أبل من مرضه وما علموا أنها الصحوة التي تسبق الموت ولو علموا لتفطرت قلوبهم .
(قال الإمام ابن كثير رحمه الله ثم بدا لهم وجهه الكريم صبيحة الاثنين فودعهم بنظرة كادوا يفتتنون بها ثم كان ذلك آخر عهد جمهورهم به ولسان حالهم يقول كما قال بعضهم :
وكنت أرى كالموت من بين ساعة ... فكيف ببين كان موعده الحشر
[السيرة النبوية لابن كثير (٤٦٨/٢)] .
أقول : وكانت هذه آخر ابتسامة ابتسمها صلى الله عليه وسلم عندما رأى المسلمين يصلون جماعة يؤمهم أبو بكر رضي الله عنه بهذا المنظر وسر سروراً كثيراً ﷺ فهاهي ذي أمته كلها صف واحد وصفوف متراصة وراء قائدها وإمامها أبي بكر الصديق فابتسم ضاحكاً وحيا صحبه وجنده وما رؤي أحسن منه هيئة تلك الساعة وكانت آخر قرة عين له ولأمته من بعده ، حتى خيل للصحابة رضي الله عنهم أنه ﷺ قد نشط من أوجاعه وعوفي من آلامه ولكنهم ما عرفوا إلا أخيراً أنه إنما وقف ينظر إليهم تلك النظرة لينقلب بها إلى سكرة الموت وهي آخر منظر يسجل في ذهنه لمشهد الصحابة بل وأمته كلها كي تكون هي العهد الباقي بينهم وبين الله عز وجل ولتكون هي الهمزة الواصلة بين لحظة الوداع لأمته في الدنيا ولحظة الاستقبال لها في الآخرة على حوضه الموعود .
ولقد شاء الله ﷻ أن يكون هذا المشهد هو الصلاة !!.. وشاء الله سبحانه تعالى أن تكون هي العهد الأخير .
فيا أخي المسلم : العهد العهد الذي فارقت عليه رسول الله ﷺ وهو راض يبتسم .

(٣) البخاري (٦٨٠،٦٨١،٧٥٤،١٢٠٥،٤٤٤٨) مسلم (٤١٩) النسائي (٧/٤) الترمذي في الشمائل (٣٦٧) ابن ماجة (١٦٣٤) الحميدي (١١٨٨) البيهقي (٧٥/٣) أحمد (١١٠/٣،١٦٣،١٩٦،٢١١) .

(٤) الأَبْهَر : عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه [فتح الباري (١٣١/٨)] .

(٥) البخاري معلقاً (٤٤٢٨) أحمد (١٨/٦) الدارمي (٣٢/١،٣٣) الحاكم (١٩/٣) والبيهقي في الدلائل (١٧٢/٧) فتح الباري (١٣١/٨) (٧٣٧/٧) .

الشهادة [1] على أيدي اليهود أبناء القردة والخنازير عبدة الطاغوت ، قَتَلة الأنبياء ، الخونة نقضة العهود [2] كما رزق النبوة .

وذلك أنه عندما فتح خيبر أهديت له ﷺ شاة مشوية فيها سم وكانت اليهودية - واسمها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم - قد سألت أي عضو من الشاة أحب إليه ؟ فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم فلما تناول الذراع لاك منها مضغة فلم يسغها وأكل معه بشر بن البراء فساغ لقمته ومات منها وقال لأصحابه : (أمسكوا عنها فإنها مسمومة وقال لها ما حملك على ذلك فقالت : أردت إن كنت نبياً فيطلعك الله وإن كنت كاذبا فأريح الناس منك) وقد ذكر أن المرأة أسلمت حينما قالت من أخبرك فأخبر ﷺ أن الشاة المسمومة أخبرته . وكان من معجزاته ﷺ وهي أن لحم الشاة المصلية نطق وأخبر النبي ﷺ أنه مسموم .

وللاستزادة انظر الفتح (٧/٤٩٧) والبداية والنهاية (٤/٢٠٨-٢١٢) .

(١) وقد جزم ابن كثير -رحمه الله - أن النبي ﷺ مات شهيداً .

[البداية والنهاية (٤/٢١٠،٢١١،٢١٢) ، وداع الرسول ﷺ لأمته (ص١٠٨)] .

(٢) عداوة اليهود للإسلام وأهله ظاهرة من قديم الزمان فهم أعداء الله ورسوله ﷺ فهل ينتبه المسلمون ؟ .

قال الله ﷻ : { ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتَّى تتبع ملتهم } .

وقال تعالى : { أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون } [البقرة : ١٠٠] .

وفي هذه القصة دلالة على حسد وحقد اليهود - لعنهم الله - على الإسلام ونبي الإسلام ﷺ وصدق ربنا { فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين } [البقرة : ٨٩] .

● نبذة مختصرة عن عقيدة اليهود المحرفة :

< أمة الإسلام : إن حبيبكم ونبيكم محمداً ﷺ مات شهيداً قتيلاً مسموماً . قتله وسمَّه تلك الأُمة المغضوب عليها (اليهود) أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل قتلة الأنبياء وأكلة السحت ، أخبث الأُمم طوية وأرداهم سجية وأبعدهم من الرحمة وأقربهم من النقمة ، عادتهم البغضاء وديدنهم العداوة والشحناء بيت السحر والكذب والحيل ، لا يرون لنبي حرمة ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة . وجعل الله ﷻ موت نبيه على يد اليهود لنابذهم العداوة :

أساجلك العداوة ما بقينا وإن متنا نورثها البنينا

﴿ إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة : ٤] .

أمة الإسلام : إن اليهود قتلوا عدداً من الأنبياء والأصفياء وتواتر غدرهم ونقضهم للمواثيق ، ومن الأمثلة على ذلك ما حصل من يهود بني قينقاع ، كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد إلا أنهم نقضوا عهدهم باعتدائهم على امرأة مسلمة حين دخلت سوق بني قينقاع ، وجاءت إلى صائغ يهودي لعلها تشتري منه حلياً ، فعمد الصائغ اليهودي إلى طرف ثوبها من خلف وعقده إلى ظهرها وهي جالسة دون أن تشعر فلمَّا قامت انكشفت سوأتها ، فضحك اليهود وسخروا بها ، فصاحت المرأة واستغاثت بالمسلمين لشرفها المهان ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه وقامت الحرب بين المسلمين واليهود . فأجلى النبي ﷺ يهود بني قينقاع من المدينة .

وهكذا يهود بني النضير حين أتاهم النبي ﷺ في نفر من أصحابه وقعد إلى جنب جدار .
قال اليهود : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه . فلما صعد أحدهم ليلقي على رسول الله ﷺ الصخرة ، نزل الوحي على رسول الله ﷺ وأخبره بغدر اليهود .
فرجع النبي ﷺ إلى المدينة وجهز الجيش وأجلى يهود بني النضير منها .
وهكذا بنو قريظة ، نقضوا عهدهم وخانوا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب حين تكالب عليه أعداؤه ولكن الله سلط عليهم رسوله والمؤمنين وعاقبهم رسول الله ﷺ عقاباً شديداً وطهر رسول الله ﷺ المدينة من اليهود .
وهذا لبيد بن الأعصم اليهود الساحر ، سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة ووضعه في بئر ذروان حتى كان النبي ﷺ يخيل إليه أنه يفعل الشيء و لم يفعله [البخاري (٣٢٦٨) مسلم (٢١٨٩) ابن ماجة (٤٥٣٥) أحمد (٥٧/٦)] .
هذه صور من غدرهم ومكرهم عليهم لعنة الله ، فهل من مدكر ....
﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ﴾ [آل عمران : ١٢] > .
[من خطبة للشيخ علي النمي من كتاب فرائد الجواهر من خطب المنابر (٤٦-٤٧-٤٨)]
وإليك هذه النبذة المختصرة الموجزة عن عقيدة اليهود المحرفة :
كانت عقيدة اليهود قبل أن يحرفوها ، عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح المنزلة من الله تعالى على موسى عليه السلام ، لكنهم حرّفوها وبدلوها وابتدعوا فيها ما لم ينزله الله تعالى حتى صاروا فيما بعد وحتى الآن على الشرك والعداء لله ورسوله ﷺ وهذا مختصر موجز من عقيدتهم بعد تحريفها :
[١] إشراكهم مع الله تعالى غيره في العبادة : فقد اتخذوا العجل إلها وصنعوا إلها تمثالاً ثم عبدوه من دون الله تعالى ، قال الله تعالى عنهم في قصة السامري : { فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي }[سورة طه الآية : ٨٨] فهم عبدة العجل .
ومن إشراكهم بالله تعالى في العبادة اتخاذهم أحبارهم أرباباً من دون الله تعالى وتقديس الصالحين والبناء على قبورهم واتخاذهم المساجد على القبور والصلاة عندها ، وقد ذكر الرسول ﷺ ذلك عنهم محذراً أمته من فعلهم فقال ﷺ في الحديث : الصحيح الذي رواه جماعة من الصحابة : (**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) متفق عليه .
[٢] نسبتهم الابن إلى الله ﷻ قال الله تعالى عنهم : { وقالت اليهود عزير ابن الله } [سورة التوبة : ٣٠] وزعموا أن عزيراً وهو أحد أنبيائهم ابن الله ، تعالى عما يقولون علواً كبيراً ، وعبدوه من دون الله ، بل إنهم من جهلهم وضلالهم زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياؤه من دون الناس وقد فنّد الله تعالى فريتهم هذه فقال : { وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه } [المائدة : ١٨] فرد الله تعالى عليهم بقوله الحق : { قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق } [المائدة : ١٨] .
[٣] قولهم : إن الله فقير ونحن أغنياء .

وتلك مقولة شنيعة لا يجرؤ عليها إلا كافر فاجر ضال مبين ، قال الله ﷻ : { لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق } [سورة آل عمران الآية : ١٨١] .

[٤] ومثله كذلك مقولتهم النكراء : يد الله مغلولة .

قال الله ﷻ : { وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولُعِنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان يُنْفِقُ كيف يشاء } [سورة المائدة الآية : ٦٤] .

[٥] وكذلك قولهم لموسى عليه السلام : ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ [البقرة الآية : ٥٥] .

[٦] زعمهم أن الله تعالى تعب من خلق السموات والأرض فاستراح يوم السبت — تعالى الله ﷻ وتقدس عما يقوله الظالمون — لذلك رد الله ﷻ عليهم بقوله : { ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيّام وما مسنا من لغوب } [سورة ق الآية : ٣٨] فهو تعالى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .

[٧] إنكارهم وجحودهم لِنبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، رغم أنّهم يعرفون أنه رسول الله حقاً ، ولديهم الأدلة على ذلك كما ذكر الله ﷻ عنهم بقوله : { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإنّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون } [سورة البقرة الآية : ١٤٦] .

[٨] تحريف كلام الله ﷻ وشرعه والكذب على الله ﷻ بما يتفق مع أهوائهم وأغراضهم الفاسدة ، فقد قال الله ﷻ عنهم : { يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذُكّروا به } [سورة المائدة الآية : ١٣] .

ثم هم يبتدعون كلاماً وشرعاً ويوهمون الناس بكلامهم المُزَيَّف أنه مُنَزَّل من الله ﷻ .

وإذا لم توافق أحكام الشرع أهواءهم تحايلوا في انتهاك حرمات الله ﷻ ، قال ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم — واللفظ له - في صحيحهما : (قاتل الله اليهود حرَّم الله عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها) [أخرجه البخاري (٣/١١٠) (٥/١٩٠) (٦/٧٢) ومسلم (٥/٤١) أحمد (٣/٣٢٤،٣٢٦) أبو داود (٣٤٨٦،٣٤٨٧) الترمذي (١٢٩٧) والنسائي (٧/١٧٧،٣٠٩) وابن ماجة (٢١٦٧)] .

وكما حصل منهم في قصة اعتدائهم في السبت .

وحرَّفوا التوراة ، وبعد وفاته اتَّسَعَ نطاق تحريفهم وعبثهم بأحكامها ، ولذلك فإن توراتهم اليوم محرفة منسوخة ولا سند لها إلى موسى عليه السلام ، وقد كُتِبت بعده بأربعة قرون تقريباً ، فهي عندنا بِمنزلة الحديث الموضوع إلا ما اشتملت عليه من بعض الحق الذي يوافق ما جاء به القرآن والسنة .

[واعلم بأنهم] قدَّسوا آراء أحبارهم المتمثلة بما يسمى عندهم " التلمود " وهو شروح واجتهادات علمائهم الذين أحلُّوا لهم الحرام وحرَّموا عليهم الحلال بأهوائهم ، لذلك قال الله ﷻ فيهم وفي النَّصارى : { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله } [سورة التوبة الآية : ٣١] .

[٩] نماذج من انحرافهم وضلالهم :

قد أجمل الله ﷻ في كتابه الكريم أعظم الانحرافات التي وقع فيها اليهود واستحقوا عليها غضب الله ولعنته ، فقال الله ﷻ في حقِّهم :

- { فبما نقضهم ميثاقهم } .

- { وكفرهم بآيات الله } .
- { وقتلهم الأنبياء بغير حق } .
- { وقولهم قلوبنا غلف ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً } .
- { وبكفرهم } .
- { وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً } .
- { وقولهم إنَّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله } .
- { فبظلم من الذين هادوا حرَّمنا عليهم طيبات أحلت لهم } .
- { وبصدهم عن سبيل الله كثيراً } .
- { وأخذهم الربا وقد نهوا عنه } .
- { وأكلهم أموال النا بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً } [النساء الآيات : ١٥٥-١٦١] .

فهذا حكم الله ﷻ فيهم الذي خلقهم ويعلم ما يُسِرُّون وما يُعلنون .

[١٠] احتقار الآخرين : فهم يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأنهم وحدهم أهل الجنة والمستحقون لرضا الله ﷻ ورحمته ، ويسمون غيرهم من النصارى والمسلمين وسواهم " الأميين " أو الأمميين ، لذلك يستبيحون أموال الآخرين ودماءهم وأعراضهم بل يرون أنهم كالأنعام مسخرة لليهود ، وذكر الله ﷻ عنهم بأنهم يقولون :{ ليس علينا في الأميين سبيل } [سورة آل عمران الآية : ٧٥] أي ليس علينا حرج إذا أخذنا أموالهم واغتصبنا حقوقهم وجعلناهم فريسة لنا . حتى على الأنبياء ، لذلك هم يدينون باستعباد الأمم الأخرى والمكر بهم .

[١١] الحسد : فهم يحسدون الناس على كل شيء ، حتى الهدى والوحي المترل من الله ﷻ رحمة للعالمين ، قال الله ﷻ : { ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفَّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق } [سورة البقرة الآية : ١٠٩] .

[١٢] كراهية المسلمين والكيد لهم : قال الله ﷻ : { لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا } وقوله : { ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم } .

[١٣] الإفساد وإثارة الفتن والحروب ، بل لهم اليد الطولى في إثارة الفرقة والخلافات والفتن والأحداث والاضطرابات والضلال والكفر والصراع العقدي ، فهم خلف كل شر وفتنة ومحنة في التاريخ الإسلامي ، يقول الله ﷻ فيهم : { كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين } [سورة المائدة الآية : ٦٤] .

فهم بعد رفع عيسى عليه السلام أخذوا يكيدون لأتباعه ويطاردونهم ويعملون على تحريف الإنجيل حتى تمكنوا من ذلك بالسر والعلن . وأخذوا يعيثون في الأرض فساداً حتى حقدت عليهم الأمم والشعوب ، فشردوا في الأرض أكثر من مرَّة فتفرقوا في الإسلام ، في الشام ومصر والعراق وجزيرة العرب (في يثرب وخيبر ونجران واليمن) وفي كل أرض يحلون بها يكون ديدنهم التفريق بين الناس (كما فعلوا مع الأوس والخزرج في المدينة) واحتكار التجارة والربا وإشاعة الرذيلة والبغاء وأكل أموال الناس بالباطل .

ولبثوا على هذه الحالة حتَّى جاء الإسلام وبعث محمد ﷺ وهم يعرفونه - أي أنه النبي — كما يعرفون أبناءهم ، فكذبوه وآذوه واستهزؤوا به وهمُّوا بقتله وألَّبوا عليه المشركين وقبائل العرب ودسُّوا الدسائس وظهر فيهم النفاق إذ أظهر كثير منهم الإسلام وأبطن اليهودية والكفر ، وكادوا للإسلام والمسلمين المكائد التي لا تحصى حتى اليوم .
فأشاعوا النفاق ، وأثاروا الفرقة بين المسلمين وبذروا بذور الفرق الضالة والمذاهب الباطلة في التاريخ الإسلامي كله ابتداء من المجوسية والمعتزلة والجهمية ، فالفرق الباطنية التي تلت كالفاطمية والقرامطة والاسماعيلية والطرق الصوفية ثم البهائية والقاديانية ثم الشيوعية الحمراء وسواها من الفرق والطوائف التي لا تُحْصى ، والتي هي إمَّا من دسائس اليهود مباشرة كالمجوسية أو هم شجعوها وغزوها وساندوها وتظاهروا بالانطواء تحت لوائها كعادتهم في سائر الفرق التي ضلت عن منهج أهل السنة والجماعة [من أراد الاستزادة فليرجع إلى الرسالة المختصرة القيمة بعنوان " الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة " تأليف ناصر عبد الله القفاري والشيخ ناصر عبد الكريم العقل [ولا بد من الرجوع إليها حتى ترى ما يَكفي ويفي ويشفي] وما تقدم من هذه النبذة إنما هو طرف مما ذكر في هذه الرسالة بتصرُّف يسير (١٨-٣٤)] .
وهناك أشياء وأشياء ، بل واتهامات وأكاذيب وضعها اليهود على الله ﷻ ... في توراتهم المفتراة ... بسبب نفوسهم الشريرة ونزعاتهم المادية وأحقادهم على البشرية والله ﷻ برئ منهم ومن أوهامهم وافتراءاتهم ... واليهود قوم بهت هكذا وصفهم من هو أعلم بحالهم إنه الصحابي الجليل عبد الله بن سلام . وهناك كتاب لأبي الفضل المالكي المسعودي سماه " ما افتراه اليهود الأشرار على أنبياء الله الأبرار كالمسيح وصفوته الأطهار " ، ذكر الكثير من مفترياتهم وأكاذيبهم على أنبياء الله ﷻ الأبرار ، وكذلك العلامة ابن حزم الظاهري رحمه الله ، ذكر الكثير من في ورد عليهم رداً قوياً مفصلاً في كتابه " الفصل في الملل والنِّحَل " .
وبالجملة فإن فضائحهم كثيرة وأقوالهم هائلة شهيرة ... ولهم في الكفر مذاهبٌ وأحوال ومشاربٌ .....
وهذا غيض من فيض وقليل من كثير ... من مفتريات اليهود وفضائحهم على الله ﷻ وأنبيائه ورسوله ﷺ نسأل الله ﷻ العافية والسلامة [من اتهامات كاذبة للحازمي (١/٢٨-٢٩،٣١) باختصار] .
ولتقف على أهداف اليهود ومخططاتهم ووسائلهم في التاريخ الإسلامي في العصر الحاضر فانظر (ص٣٥-٤٣) من الموجز في الأديان ونذكر طرفاً منها :
< من أهدافهم :
١- من أول أهدافهم تأسيس وتثبيت مملكتهم (إسرائيل) يكون مركزها أورشليم القدس ، وتكون هي منطلق نشاطهم ومركز التحكم بالعالم .
وبسبب تخلف المسلمين وضعفهم وتفرقهم وبعدهم عن دينهم تمكن اليهود من تحقيق أكثر أحلامهم حيال هذا الهدف مع الأسف .
٢- التحكم في شعوب العالم وتسخيرها لخدمتهم ، لأنهم بزعمهم شعب الله المختار ، وغيرهم يجب أن يكون مسخراً لهم تحت رحمتهم إن شاؤا سحقوه وأبادوه وإن شاؤا أبقوه ، إذا كان في بقائه مصلحة لهم .
٣- القضاء على المسلمين : وهذا هدف أساسي يعملون له قديماً وحديثاً ، فهم يدركون أن أول وأحذر من سيحبط مكائدهم ويصددهم عن الفساد في الأرض هم المسلمون إذا تمسكوا بدينهم وتوحدت كلمتهم .

اللحظات الأخيرة

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : (دخلت على رسـول الله ﷺ وهـو يوعـك فمسسته بيدي فقلت يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً فقـال ﷺ : (**أجـل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**) قال فقلت : ذلك أن لك أجرين ، فقال ﷺ : (**أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفّر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها**) [١] .

تقول عائشة رضي الله عنها : (مات النبي ﷺ وأنه لبين حاقنتي وذاقنتي [٢] فلا أكره شـدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ) [٣] .

وفي حديث آخر تقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : (إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عنـد الموت) [٤] .

الخاتمة : وقد عاقب الله ﷻ اليهود باللعن وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعباد الطاغوت ، وحكم عليهم بالكفر والخلود في النار ، قال الله ﷻ : { قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عنـد الله مـن لعنـه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل } [سورة المائدة الآية : ٦٠] وهم مطالبون بالإسلام واتباع الرسول ﷺ ، فإن لم يسلموا فهم كفّار من أهل النار ، يقول تعـالى : ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران : ٨٦] وصحَّ عنـه ﷺ أنه قال : (**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأُمَّة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمـن بالذي أُرْسِلت به ، إلا كان من أصحاب النار**) [أخرجه مسلم (١٥٣)] .

(١) البخاري (٥٦٤٧،٥٦٤٨،٥٦٦٠،٥٦٦١،٥٦٦٧) ومسلم (٢٥٧١) أحمد (١/٤٥٥) .

(٢) حاقنتي : الحاقنة ما سفل الذقن ، وقيل غير ذلك .

ذاقنتي : الذاقنة ما علا من الذقن ، وقيل غير ذلك .

والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها .

انظر الفتح : الفتح (٨/١٣٩) والمراد أعلى صدرها .

(٣) البخاري (٤٤٤٦) النسائي (٤/٦٠٧) النسائي في الوفاة (٣٠) أحمد (٦/٦٤-٧٧) .

(٤) البخاري (٤٤٣٥،٤٤٣٦،٤٤٣٧) مسلم (٢٤٤٤) ابـن ماجـة (١٦٢٠) الطيالسـي (٢/٢٣٩٠) أحمـد (٦/٤٨،٧٦،٢٠٠،٢٠٥،٢٧٤) صحيح السيرة (٥٧٠) .

وتتعاقب سكـــرات الموت على رسول الله ﷺ وهو راض عن ربه غير متـــبرم .. ولا وجل وهو موقن بانتهاء أجله مشتاق إلى لقاء ربه ولقد أصابه من الكرب ما يعجز عـــن احتماله أشد الخلق وأقواهم ومع ذلك لم يشك و لم يضجر و لم يجزع و لم يتسخط قضـــاء الله ﷻ (١) .

ولتشديد الموت على الأنبياء فائدتان :

إحداهما : تكميل فضائلهم ومضاعفة أجورهم ورفع درجاتهم ، وليس ذلـــك نقصـــاً ولا عذاباً بل هو كما جاء عن النبي ﷺ : (**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلـــى الرجل على قدر دينه**) (٢)(٣) .

وقد ظهر لعائشة رضي الله عنها ولأبيها في وفاته ﷺ فضائل لا تخفى على من تأمل الأحاديث . فرضي الله عن أُمِّنـــا عائشة من مات الرسول ﷺ في بيتها وفي يومها وبين سحرها ونحرها وخالط ريقها ريقـــه ﷺ ، الصديقـــة بنـــت الصديق ، أحب نساء نبينا ﷺ إليه ، والمبرأة بنص الكتاب نزلت في حقها إحدى عشر آية تبرئها ، فقاتل الله مـــن رماها بالزنى ، لقد كفر لقد كفر حيث كذَّب كلام الله ، والله وبالله وتالله إني لأعجب من هذا القول ســـبحان الله رسول رب العالمين وأمينه على وحيه الطيب الطاهر المطهر الزكي خليل الله ، يعقل منه أن يعاشر ويؤاكل ويضـــاجع ويعيش مع زانية باغية سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم ومنكر من القول وزوراً لا يقوله من عنده أدنى مسكة مـــن عقل . يقول المولى ﷻ : { الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك } وهو القـــائل ﷻ : { الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهـــم مغفرة ورزق كريم } .

(١) وهذا هو الموقف الذي يجب على كل مسلم أن يكون عليه عند حلول المصائب والبلايا والمحن .

عظة وعبرة : انظروا إلى مقدار الألم الذي يقاسيه رسول الله ﷺ والله ﷻ قادر على أن يجنبه ذلكـــم الألم وتلكـــم المشقة ، ولكنه أراد أن يكون رسول الله ﷺ قدوة في كل أحواله وحتى تستن أمته به فتصبر على الآلام والمصـــائب وتبتعد عن الجزع والهلع ... فتكون مع ربها ﷻ وتعلم أن ما أصابها لم يكن ليخطئها وما أخطأها لم يكن ليصيبـــها ... وهذه سلوة وقدوة حسنة ... حتى في آخر لحظة من حياته . [النهج المحمدي (ص٣٤٠)] .

(٢) الترمذي (٢٣٩٨) والنسائي في الكبرى [تحفـــة الأشـــراف (٣٩٣٤)] وابـــن ماجـــه (٤٠٢٣) وأحمـــد (١٧٢/١ح١٤٨١،١٧٣ح١٤٩٤،١٨٠ح١٥٥٥،١٨٥ح١٦٠٧) والدارمي (٢٧٨٦) والطحاوي وابـــن حبـــان والحاكم وعبد بن حميد كلهم من حديث مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص .

وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١٠) وابن ماجة (٤٠٢٤) وأحمد (٩٤/٣) كلهم عن أبي سعيد الخدري .

(٣) كما ابتلي إبراهيم عليه السلام بالنار وموسى بالخوف والأسفار وعيسى بالصحاري والقفار ونبينا محمداً ﷺ بالفقر في الدنيا ومقاتلة الكفار ، كل ذلك لرفعة وكمال في درجاتهم ولا يفهم من هذا أن الله شدد عليهم أكثر ممـــا شدد على العصاة المخلطين فإن ذلك عقوبة لهم ومؤاخذة على إجرامهم فلا نسبة بينه وبين هذا [مرض النـــبي ﷺ ووفاته (ص٨٧)] .

الثانية : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت ، فإذا كان الأنبياء الصادقون عاينوا ألم الموت وشدته وكربته مع كرامتهم على الله ﷻ قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت ، فنسأل الله أن يهون علينا سكرات الموت برحمته وفضله .

وصايا الرسول ﷺ في مرض وفاته

النبي ﷺ وهو يعاني سكرات الموت ويقاسي آلام الحمى الشديدة التي أنهكته ... ومع ذلك لم يغفل عن أمر أمته من بعده ، فكلما سري عنه إلتفت إلى الناس ونصحهم وحذّرهم من الفتن صلوات الله وسلامه عليه ، وهكذا نلاحظ أن رسول الله ﷺ حرص على أمور أمته كلها لم يترك شاذة ولا فاذة و لم يضيع فرصة تمر به إلا انتهزها لنصح أمته وتوجيههم إلى الخير وتحذيرهم من الشر حتى في أحرج الساعات وأشدها كان همه منصرفاً إلى أمته وإلى ما سيكون عليه حالهم بعده وهو يمر بآخر دقائق من عمره بأبي هو وأمي ﷺ وصدق الله ﷻ : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } .

وطفق الوجع يشتد ويزيد وانتقض السم الذي أكله بخيبر فأخذ يحس بشدة ألمه ، وكان قد طرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عنه فقال وهو كذلك : (**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) [1] ، تقول عائشة رضي الله عنها راوية

---

(١) النبي ﷺ وهو يعاني من سكرات الموت وفي الكرب الأخير لم ينس ﷺ الأمر المهم الذي جاء من أجله وهو التوحيد . إن رسول الله أعلم الناس بمصائد الشيطان وأكثرهم إدراكاً لما يمكن أن يسول لأمة محمد ﷺ فقد يجرهم بوساوسه و مغرياته إلى جاهليتهم الأولى .. ويوم يصلون إلى تلك الحال من عبادة القبور والطواف حولها ودعاء الأموات والتبرك بقبورهم فقد فقدوا دينهم وهم لا يعلمون .. ورسول الله ﷺ يحذر من هذا المصير في آخر رمق من حياته ﷺ ، نعم إن أعظم فتنة يخشاها ﷺ على أمته هي أن تنصرف هذه الأمة عن عبادة الله إلى عبادته ﷺ ابتداء من تحويل قبره صنماً للعبادة ، فحذرها من اتخاذ المساجد على القبور وإدخال القبور في المساجد ولعن من فعل ذلك وأنه من شرار الخلق عند الله كائناً من كان ، يخشى أن ترتكس أمته فتتعلق بالأشخاص " الأضرحة " كما ارتكس أهل الكتاب الأولون . لقد كان تفكيره في أمته ﷺ في سلامة العقيدة هي الشغل الشاغل ولابد أن تبقى عند الدعاة وعند العاملين لإقامة شريعة الله في الأرض لابد أن تبقى هذه القضية هي شغلهم الشاغل أكرر فأقول :

قضية خطيرة : من أكبر المصائب التي دهت المسلمين في عصورهم المتأخرة تساهل فريق منهم في بناء المساجد والقباب على القبور ، ثم إصرارهم على هذه البلية وهم الآن يستزيدون منها رغم نصح الناصحين وتبصير المستبصرين لهم ، وأنت ترى توافر النصوص وثبوتها في التحذير والنهي عن ذلك ؛ بل إن الرسول ﷺ ما اهتم بشيء في مرض موته كاهتمامه بهذا الأمر الخطير أن تقع فيه أمته ، ومع هذا لا نزال نرى لهذه البدعة قبولاً وانتشاراً ونسمع لها أئمة ودعاة ومنافحين و لم يقتصر الأمر على مجرد البناء على القبور بل لقد اتخذت هذه القبور

الحديث : (يحذر ما صنعوا) [١] .

وعن جابر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث يقول : (**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ**) [٢] .

وقال ﷺ : (**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**) [٣] .

وكان آخر ما تكلم به وأوصى به الناس وكرر مراراً حين حضره الموت : (**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**) كما قال أنس رضي الله عنه : (كانت عامة وصية رسول

مزارات ومعابد وقبلات يطاف بها ويدعى فيها المخلوقون من دون الخالق ، فنسأل الله ﷻ أن يطهر بلاد المسلمين وقلوب من ابتلي منهم من هذا الرجس .

(١) البخاري (٤٣٥،١٣٣٠،١٣٩٠،٣٤٥٣،٤٤٤١،٤٤٤٣،٥٨١٥) مسلم (٥٣١) النسائي (٢/٤٠) أبو عوانة (١/٣٩٩) الدارمي (١/٣٢٦) أحمد (١/٢١٨) (٦/٣٤،٢٢٩،٢٧٥) ابن سعد في الطبقات (٢/٢٥٨) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٨٧٧) وأبو داود (٣/٣١١٣) وأحمد (٣/٢٩٣،٣١٥،٣٢٥،٣٣٠) حسن الظن لابن أبي الدنيا (١) .

أقول : حسن الظن بالله ﷻ نعمة من الله يمنها على من يشاء من عباده ، فينطق عند الاحتضار بكلمات جميلات تدلنا على عقيدته وحسن ظنه بالله ورجائه في الله ﷻ ، وهذه نبذه عن إحتضار الإمام المحدث أبي زُرعة الرازي رحمه الله تعالى : تذاكر أصحابه حديث تلقين الموتى فقالوا : يُروى عن معاذ ، فرفع رأسه وهو في النزاع فذكر الإسناد عن معاذ عن النبي ﷺ : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) فصار البيت ضجة ببكاء من حضر ، وقال في مرضه الذي مات فيه : (اللهم إني أشتاق إلى رؤيتك ، فإن قال لي بأي عمل اشتقت إليَّ ؟ قلت : برحمتك يا رب) . [حسن الظن لابن أبي الدنيا من كلام المحقق عبد الحميد شانوحه (ص١٢) بتصرف)] .

(٣) البخاري (٣٠٥٣،٣١٦٨،٤٤٣١) مسلم (١٦٣٧) أبو داود (٣٠٢٩) أحمد (١/٢٢٢) البيهقي (٩/٢٠٧) البغوي في شرح السنة (١١/١٨٠) عبد الرزاق (١٩٣٧١) الحميدي (٥٢٦) التمهيد (١/١٦٩) .

❀ ومنه يؤخذ وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب لأن النبي ﷺ أوصى بذلك عند موته ، وقد أخرجهم عمر رضي الله عنه في بداية خلافته أما أبو بكر رضي الله عنه فقد انشغل بحروب الردة .

وأقول : لا يخفى ما في العمالة الكافرة من أضرار وأمراض وأخطار على العقيدة والأعراض والأمن والأخلاق والقيم والمبادئ الإسلامية وغيرها ، قال ﷻ : { أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه } ويقول فيهم تبارك وتعالى : { ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم } ويقول ﷻ : { ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر } [آل عمران : ١١٨] ويقول ﷻ : { ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا } [البقرة : ٢١٧] .

ولله در القائل :

كل العداوات قد ترجى مودتها ... إلا عداوة من عاداك في الدين

الله ﷺ حين حضره الموت (**الصلاة الصلاة** [١] **وما ملكت أيمانكم**) **حتى جعل يغرغر**

---

(١) وهذا يدل على أهمية الصلاة لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين ولهذا أوصى بها النبي ﷺ الرحمة المهداة والنعمة المسداة ــ بأبي وأمي ــ عند موته أثناء الغرغرة . ولا غرو أن يحدث ذلك من رسول اختاره الله وكان أرحم الناس وانصحهم لأمته ﷺ .

والمهم أن ندرك المعنى الذي قصده من غرغرته بالأمر بالصلاة . فالصلاة عمود الدين وهي عنوانه وعلامته فإذا قامت قام الدين وإذا تركت فقد هدم الدين وهي المقياس الذي يعرف به مدى محافظة المسلم على شعائر دينه الظاهرة والخفية ومقدار صدقه مع ربه ومع نفسه ، ويوم يفقد المسلمون الصلاة والصلاة جماعة فسوف يفقدون المجتمع المسلم الحقيقي ... وتنقطع بينهم الصلاة ويعيشون حياة متباعدة متباينة وكل هذه الوصايا تدل على رحمته ﷺ وشفقته بأمته حيث وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ويعاني سكرا ت الموت ينبهها إلى معاقل الخير ليتمسكوا به ﷺ وجزاه الله عن أمته خير ما جزى نبياً عن أمته .

أيها المسلمون (الصلاة الصلاة) آخر ما قاله النبي ﷺ وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة فاتقوا الله في أنفسكم وحاسبوها قبل أن تحاسبوا ، وقد تقدم الكلام عن الصلاة (ص١٥-١٧) .

والوصية الأخرى قوله ﷺ : (وما ملكت أيمانكم) وفي هذا رد على أعداء الإسلام الذين ينتقدونه بأنه دين الإقطاع وهضم الحقوق ، ويضربون الأمثلة بالرق والعبيد مع أنهم يعلمون أن نظام الإسلام لا مثيل له .

فأين وصية رسول الله ﷺ يا من يظلم العامل والأجير فينقص من أجره أو يستحل شيئاً من راتبه أو يؤخر رواتب العمال عن وقتها ويضطهدهم ويضيق عليهم ويهضمهم حقهم أو يكلفهم ما لا يطيقون ولا يحتملون أو يسخرهم عنده كالبهائم وبعضهم ينتهز فرصة ضعف الخدم أو العمال فيوقعون بهم ألوان الأذى والسب والشتم وكأنه ليس بآدمي أو ينقض العهود والاتفاقات التي بموجبها جاء بهم إلى البلاد فيعيشون عيشة ظلم وقهر وهضم للحقوق .

أقول لهؤلاء الظلمة المعتدين الجائرين إن الله ﷻ إذا ملك أحدا شيئاً فاستبد به وأساء سلبه ما ملك وأعد له سوء المنقلب وللظالم يوم والمظلوم دعوته مستجابه ولو بعد حين وعلى الباغي تدور الدوائر والله مع المظلوم حتى يأخذ حقه وليس بغافل عما يعمل الظالمون . ولله در القائل :

لاتهين الفقير علك أن ... تركع يوماً والله قد رفعه

ويقول الآخر:

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

ويقول الأخر :

أمـا والله إن الظلم شؤم ... وما زال المسيء هو الظلوم

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا ... غداً عند المليك من الملوم

ويقول الآخر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فـالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وأقول : اتق الله خف الله في هذا الضعيف المسكين هذا لا يحل لك ولا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس وإن كان شيئاً يسيراً أعطه حقه كاملاً مستوفى بل أعطه أجره قبل أن يجف عرقه قبل أن يكون هذا المال عليك ناراً وجمراً وغضباً ولعنة لأنك ظلمته ولماله بخسته وغصبته .

بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه) [(١)] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كشف رسول الله ﷺ الستر ورسول الله ﷺ معصوب في مرضه

اتق الله فيمن جعلهم الله عندك خدماً وعمالاً ارفق بهم لا تكلفهم ما لا يطيقون وإذا كلفتهم فأعنهم لا تبخسهم حقهم تجاوز عن سقطاتهم اغفر هفواتهم ، وفي الحديث : (**إخوانكم خولكم جعلهم الله قُنية تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه**) متفق عليه .

وكما تقول عائشة رضي الله عنها : (ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة ولا خادماً ولا شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ﷻ) [رواه مسلم (١٥/٨٤،٨٥) نووي] .

حذار حذار من ظلمهم أو انتهاك حرمتهم أو ضربهم فقد رهب الإسلام من هذه القسوة وتوعد عليها فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال : (كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي يقول : (**إعلم أبا مسعود**) فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول : (**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**) فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى ، فقال : (**أما لو لم تفعل للفحتك النار**) [مسلم (١٦٥٩) الترمذي (١٩٤٨) أبو داود (٥١٥٩) أحمد (٤/١٢٠) (٥/٢٧٤،٢٧٤)] .

ويقول ﷺ : (**من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة**) [صحيح الجامع (٦٣٧٤)] .

وقوله ﷺ : (**من ضرب مملوكاً ظلماً أقيد منه يوم القيامة**) [صحيح الجامع (٦٣٧٦)] .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : (يا رسول الله كم أعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه النبي ﷺ ، ثم قال : يا رسول الله كم أعفو عن الخادم ؟ قال ﷺ : (**كل يوم سبعين مرة**) [صحيح الترمذي (٣/١٥٩٠) السلسلة الصحيحة ٤٨٨)] . فحرام إهانة المسلم وخذله وإن كان خادما وجعله كالبهيمة أو كالآلة .

وأقول : لا يجوز اتخاذ الخدم أو السائق إلا للضرورة الملحة والحاجة الماسة ومن ابتلى بشيء منهم فعليه :

١- باختيار النوعية الصالحة منهم التي حسن إسلامها .

٢- مراقبة إسلامهم وهذا هو الأهم ويكون ذلك بمراقبتهم في أداء الفرائض كالصلاة وفي السلوك الإسلامي والاحتشام وعدم الاختلاط والسير على تقاليد الأسرة المسلمة وتعليمهم الدين الحنيف .

٣- استعمالهم كخادمات وخدم فقط لهم حدود معينة في الخدمة .

٤- أن يرفق بهم ويحسن إليهم وينقذهم من النار وأسبابها ولا يترك لهم منفذا للمعاصي والمنكرات ، وأن يكون لهم ناصحاً أميناً لا يخون الخادم أو الخادمة بتدنيس أعراضهما ولو لمساً أو نظرة محرمة ، فهذا خيانة بالخدم والخادمات وبأي وجه يلقى الله من يلمس الخادمة أو ينظر إلى زينتها أو أن تجلس المرأة بجانب السائق أو يخلو بالخادمة فيوم القيامة تقف بين يديك وتطالب بحقها يوم القيامة ، هل لك قدرة على نفحة ولفحة النار ، أين وصية رسول الله ﷺ : (**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**) ومن ابتلي بسائق أو خادم كافر فليتق الله وليحرص على إسلامه بترغيبه ومعاملته بالحسنى حتى يملك قلبه ، فإذا ملك قلبه سمع كلامه واستجاب لندائه ولعله يرجع إلى بلاده داعية إلى الله ﷻ .

(١) ابن ماجه (٢٦٩٧) النسائي في الوفاة (١٨-٢٤) أحمد (٣/١١٧) الحاكم (٣/٥٧) ابن حبان (٦٥٧١).

وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها :

فرواه أحمد (١/١/٧٨) (٦/٣١١-٣٢١) ابن ماجة (١٦٢٥،٢٦٩٨) أبو داود (٥١٥٦) البيهقي (٨/١١) .

الذي مات فيه فقال : (**اللهم هل بلّغت** – ثلاث مرات – **إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو تُرى له ، ألا وإني قد نُهيت عن القـــراءة في الركوع والسجود ، فإذا ركعتم فعظموا الله وإذا ســـجدتم فاجتـــهدوا في الدعـــاء ، فَــقَـــمَنٌ** (١) **أن يستجاب لكم**) (٢) . واستلمته الحمى وشدد الله عليه في اللحظـــات الأخيرة حتى لا تبقى عليه خطيئة حتى ينال المقام المحمود ويحـــوز الوســيلة عنـــد الله ، واشتدت به سكرة الموت وألمه وغصصه وكربه وشدائده حتى صبت عليه سبع قرب مـــن شدة الحمى لأمره ﷺ لهم بذلك .

قال ابن رجب عن شدة مرضه ﷺ وكان عليه قطيفة فكانت حرارة الحمى تصيب من وضـع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال : (**إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضـــاعف لنا الأجر**) (٣) وتقول عائشة رضي الله عنها : (لا أغبط أحداً بهون موت بعد الـــذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ) ، وفي لفظ : (ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجـــع من رسول الله ﷺ) (٤) .

تقول عائشة رضي الله عنها : (أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجعـــه قـــال : (هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أو كيتهن (٥) لعلي أعهد إلى الناس) فأجلسناه في مخضـــب لحفصة زوج النبي ﷺ ثم طفقنا نصب الماء عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيـــده

---

(١) بفتح الميم وكسرها أي خليق وجدير فمن فتح الميم لم يُثَنِّ ولم يجمع ولم يؤنث لأنه مصدر ، ومن كسر ثَنَّـــى وجمع وأنَّث لأنه وصف . كذا في النهاية .

(٢) أخرجه مسلم (٤٧٩) وأبو داود (٨٧٦/١) والنسائي في الصغرى (١٠٤/٢،١١٢٠) والكبرى (٧٦٢٣) وأحمد (٢١٩/١) أبو يعلى (٢٣٨٧) ابن خزيمة (٥٤٨،٥٩٩،٦٧٤) ابن حبان (١٨٩٦،١٩٠٠) وعبد الـــرزاق (٢٨٣٩) والحميدي (٤٨٩) والدارمي (١٣٢٥،١٣٢٦) والبيهقي (٨٧/٢–٨٨) والبغوي (٦٢٦) وابن أبي شـــيبة (٢٤٨/١) (٥٢/١١) كلهم عن ابن عباس .

وأخرجه أحمد (١٥٥/١) وابن أبي شيبة (٢٤٩/١) والطحاوي (٢٢٣/١) وأبو يعلى (٢٩٧،٤٢١،٤١٦) والـــبزار (٦٩٧) كلهم من حديث علي مختصراً على طرفه الآخر .

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٥/٢) .

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤٦) مسلم (٢٥٧٠) الترمذي (٢٣٩٧) ابن ماجة (١٦٢٢) أحمد (١٨١/٦) .

(٥) وإنما اشترط هذا لأن الأيدي لم تخالطه وأول الماء أطهره وأصفاه . انظر : عمدة القاري (٢٥٠/٢١) .

أن قد فعلتن ، قالت : ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم) [١] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (لما وجد رسول الله ﷺ من كرب الموت ما وجد قالت فاطمة رضي الله عنها : واكرباه ! ، فقال النبي ﷺ : (**لا كرب على أبيك بعد اليوم إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحداً الموافاة يوم القيامة**) [٢] .

وكان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو علبة ماء يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : (**لا إله إلا الله إن للموت سكرات** [٣]) [٤] . ثم ثقل المرض على النبي ﷺ فصار لا يتكلم وإنما يكتفي بالإشارة - بأمي وأبي أفديه - ﷺ ودخل عليه أسامة بن زيد رضي الله عنه فدعا له بالإشارة .

ثم بدأت اللحظات الأخيرة من حياته ﷺ (فبينما كان رأسه ﷺ في حجر عائشة رضي الله عنها إذ دخل عليه عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك فنظر إليه رسول الله ﷺ فعلمت أنه يريد السواك فتناولته ولينته فاستاك به [٥] وعندما فرغ منه رفع يده وإصبعه

---

(١) أخرجه البخاري (١/٦١،١٦٩) (٣/٢٠٧) ومسلم (٢/٢١،٢٢) وابن ماجة (١٦١٨) والنسائي في الكبرى [تحفة الأشراف (١١/ح١٦٣٠٩)] والحميدي (٢٣٣) .

(٢) البخاري في المغاري وابن ماجه والنسائي في الجنائز بنحوه وأحمد . وانظر الصحيحة (١٧٣٨) .
ومعنى حضر أي نزل بأبيك الموت فإنه أمر عام لكل أحد فالمصيبة إذا عمت هانت . وقوله الموافاة أي الملاقاة كائنة وحاصلة يوم القيامة .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٣٦٢) : (سكرات الموت : بفتح المهملة والكاف ، جمع سكرة .
قال الراغب وغيره : السكر حالة تعرض بين المرء وعقله وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر ، ويطلق في الغضب والعشق والألم والنعاس والغشيّ الناشيء من الألم وهو المراد هنا) اهـ والله تعالى أعلم .

(٤) البخاري (٤٤٤٩،٧٩٠) النسائي (٤/٦-٧) أحمد (٦/٤٨،١٢١،٢٠٠) .

(٥) وفيه بيان لفضيلة السواك وشدة محبة النبي ﷺ له وحرصه على استعماله حتى وهو في سياق الموت وهذا يدل على تأكد استحباب السواك على النساء والرجال لأنه مطهرة للفم مرضاة للرب مطردة للشيطان .
ولعظم هذه الشعيرة قال فيها النبي ﷺ : (**لولا أن أشق على أمتي لأمرهم بالسواك عند كل صلاة**) [البخاري () مالك (١/٦٦) والنسائي (١/١٢) وأحمد (٢/٢٤٥) ابن حبان (٢/٢٠٢) ابن خزيمة (١/٧٢)] .
وهو القائل ﷺ : (**قد أكثرت عليكم في السواك**) [البخاري (٢/٣٧٤) في الجمعة باب السواك يوم الجمعة] .
والقائل ﷺ : (**أمرت بالسواك حتى خفت على أسناني**) [الصحيحة (٤/١٠٥٦)] .
تنبيه : بيد أن المتأمل لواقع النساء يفتقد هذه الشعيرة العظيمة بل قد لا ترى إلا النادر منهن من تهتم بذلك حتى في أوساط المتمسكات بالسنة الملتزمات بأحكام الشرع ممن يتوقع منهن معرفة هذه السنة وتطبيقها لما فيها من المنافع

وشخص ببصره نحو السقف وتحركت شفتاه فأصغت إليه عائشة وهو يقول : (مع **الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى** [١]) وكرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً [٢] (وكان هذا آخر ما تكلم به) [٣] ثم انحنى رأسه وخرج رذاذ بارد من فمه على يد عائشة فأسلمت رأسه للوسادة وفاضت روحه (ثم مالت يده ولحق بالرفيق الأعلى) [٤] .

لقد اختار ﷺ الآخرة على الدنيا وأحب لقاء ربه .

والله لو أنك توَّجتني بتاج كسرى ملك المشرق

وقلت لي : لا نلتقي ساعة اخترت يا مولاي أن نلتقي

ودمعت عينا عائشة رضي الله عنها وحق والله لتلك العينين أن تدمع .. إنها صعوبة الفراق والنأي عن الأحباب .

ومدت أكف للوداع تصافحت وكادت عيون للفراق تسيل

يالها من لحظات وداع مؤثرة تفتت الأكباد وتمزق القلوب وتبكي العيون إنا لله وإنا إليه

الدنيوية والأخروية . لا أعرف السبب ولكن يخالج النفس أنه ربما يكون ذلك ناشئ عن اعتقاد عند الكثيرات بأن السواك خاص بالرجال وهذا ظن غير صحيح ، وأقول كيف تغيب مثل هذه السنة عن نسائنا المسلمات .

(١) اختلفوا في قوله : (الرفيق الأعلى) على أقوال :

قيل : الجنة .

وقيل : الأنبياء .

وقيل : الله سبحانه وتعالى .

وقيل : الملائكة .

وقيل : المذكورون في سورة النساء : { فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً } .

ورجح هذا القول – الأخير – الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٧/٧٤٤) .

وفي قوله : (وألحقني بالصالحين) بيان لشدة شوق النبي ﷺ إلى لقاء الله ﷻ والدار الآخرة ، ورؤية إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وهذا يدل على عزوفه ﷺ عن الدنيا وعدم رغبته فيها .

(٢) البخاري – الفتح – (١٦/٢٧٨/ح٤٤٤٩) ومسلم .

(٣) البخاري – الفتح – (١٦/٢٨٥)/ح٤٤٦٣) مسلم (٤/١٨٩٤/ح٢٤٤٤) وغيرهما .

(٤) البخاري – الفتح – (١٦/٢٧٨/ح٤٤٤٩) .

راجعون نفديه بأنفسنا وأمهاتنا وآبائنا وأموالنا ﷺ وتسرب الخبر بين الصحابة خلال لحظات فصاح صائحهم وضج ضجيجهم وأظلمت عليهم الدنيا بأسرها فاشتدت الرزية بموته ﷺ وعظم الخطب وجل الأمر وعمتهم الحيرة وأقعدتهم الدهشة وأظلمت الحياة في وجوههم ، وأخذ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يبكون ويتلبطون لا يدرون كالأغنام المطيرة في الليلة الشاتية تركها راعيها تنهشها الذئاب[١] - وحق لهم ذلك - ، إنهم سينطلقون إلى الحياة بلا رسول الله ، إنهم سيحملون راية الجهاد ليبلغوا دين الله إلى العالمين أين جبريل الذي كان يقاتل معهم ؟ أين الوحي الذي كان يترل عليهم ؟ أين كلام الله الذي يتردد عليهم ؟ وبلال هذا الذي كان يؤذن أصبح لا يؤذن بعده أبداً [٢] .

أمة الإسلام : لقد كانت وفاة النبي ﷺ مصيبة حلّت بكل مسلم .

وللمصائب سلوان يهونها ... وما لما حلّ بالإسلام سلوان

---

(١) يقول أنس لما مات رسول الله ﷺ كنا كالغنم المطيرة فما زال أبو بكر يشجعنا حتى كنا كالأسود المتنمرة .

(٢) انظر (ص٨١) من هذا البحث .

موقف الصديق رضي الله عنه

كان أبو بكر رضي الله عنه قد خرج إلى مسكنه بالسنح (١) صباحاً حين رأى دلائل العافية بادية عليه ﷺ واستأذن صباحاً ، فلما توفي ﷺ أقبل على فرسه حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم أحداً حتى دخل على عائشة رضي الله عنها وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فقصد رسول الله ﷺ وهو مسجى ببردة حبرة فكشف عن وجهه وأكب عليه يقبله ثم بكى وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله طبت حياً وميتاً والله لايجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متّها ثم رد البرد على وجه رسول الله ﷺ : (ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال على رسلك يا عمر أنصت فأبى إلا أن يتكلم فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر . فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت (٢) ، قال ثم تلا هذه الآية { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (٣) ومن ينقلب على عقبيه فلن

---

(١) السُّنح : إحدى محال المدينة ، كان بها منزل أبي بكر الصديق ﷺ حين تزوج مليكة . وقيل : حبيبة بنت خارجة . [معجم البلدان] .

(٢) أخي في الله أُحَذِّر نفسي وإيَّاك من أن يحب أحدنا الآخر لذاته ، ولأنه يميل إليه ويجد متعة نفسية في وجوده معه فلا يشاهد إلا معه في حله وترحاله وجده وهزله فيؤدي إلى الإرتباط الشخصي وهذا من أخطر منعطفات الأخوة في الله ﷻ حيث يتحول الحب من حب في الله إلى حب لذات الأشخاص ، فإذا انحرف أحدنا تبعه الآخر لأنه مرتبط به سائر في ركابه ، ولنتذكر كلام أبي بكر ﷺ ففي هذه الكلمات الوجيزة منه صحح المسار وربط الناس بربهم ... وخرج الناس كما تقول كتب السيرة يرددون هذه الآية ، فلنتآخى جميعاً ... ولنرتبط برباط الله لا برباط ذواتنا .

(١٢٣) فالنبوة لا تدرأ الموت والأديان لا تزول بموت الأنبياء ، فيجب التمسك بما أتت به الرسل وإن فقد الرسول بموت النبي ﷺ والذين يظنون في عصرنا أن ظهور الإسلام وعودته متوقف على العالم الفلاني أو الداعية الفلاني فهؤلاء وأولئك قد أخطؤوا و لم يقدروا هذا الدين قدره و لم يوفوه حقه لأن ظهور هذا الدين وهيمنته على كل الأديان هو قدر الله عز وجل وسنته ولن تجد لسنة الله تبديلاً قال تعالى :{ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون } ، فسبب ظهور هذا الدين أنه حق وأنه هدى ولذلك فهو باق إلى قيام الساعة رغم أنوف أهل النفاق والضلال . [مرض النبي ووفاته (ص٢٠)] .

يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين } قال فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، وأخذها الناس عن أبي بكر ، فإنما هي في أفواههم قال : فقال أبو هريرة ﷺ : قال عمر ﷺ : (والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر [١] تلاها فعقرت [١]

---

(١٢٤) وهذا الموقف العظيم الذي وقفه صديق هذه الأمة ﷺ ظهر علمه وعظم شجاعته ، وهي ثبوت القلب عند حلول المصائب ، ولا مصيبة أعظم من هذه ، فأثبت ﷺ جدارته وأهليته وكفاءته على الصحابة أجمعين .

فرحم الله هذا الصديق الأكبر المؤيد المنصور ﷺ أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً كم من مصيبة درأها عن هذه الأمة وكم فتنة كان المخرج منها على يديه وكم من مشكلة ومعضلة كشفها بشهب الأدلة من الكتاب والسنة التي خفيت حتى على مثل عمر رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين ولما انطوى بساط النبوة من الأرض بوفاة رسول الله ﷺ لم يبق على وجه الأرض أكمل من درجة الصديقية وأبوبكر رأس الصديقين فلهذا استحق خلافة رسول الله ﷺ والقيام مقامه وكان إمامهم في مرض رسول الله ﷺ فكيف لا يكون بعده وفي الحديث عن النبي ﷺ : (إن أمن الناس عليَّ في صحبته وماله أبوبكر ولو كنت متخذا من أمتي خليلاً غير ربي لاتخذت أبابكر خليلاً ولكن خلة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر) رواه البخاري مسلم .

ومن حديث رواه الترمذي : (ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ماخلا أبابكر فإن له عندنا يداً يكافئه الله يوم القيامة بها) .

وكان ﷺ قد عزم على أ ن يكتب لأبي بكر كتاباً لئلا يختلف عليه ثم أعرض عن ذلك لعلمه أنه لا يقع غيره وقال : (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) [أخرجه البخاري (٥٦٦٦) مسلم (٢٣٨٧) الطيالسي (٢٦٣١/٢) بقريب منه أحمد (١٤٤،٤٧،٣٤/٦) ابن أبي عاصم في السنة (١١٦٣،١١٥٦) ابن سعد في الطبقات (١٨٠/٣)] .

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ - كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ - قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ) [أخرجه البخاري (٣٦٥٩، ٧٢٢٠، ٧٣٦٠) مسلم (٢٣٨٦) الترمذي (٣٦٧٦) الحميدي (٥٥٩) أحمد (٤/٨٢-٨٣) الطبراني في الكبير (١٥٥٧) الطيالسي (٢٦٣٢/٢)] .

يقول تعالى ﷻ : { ثاني اثنين إذ هما في الغار } الآية ولا خلاف أن ذلك في أبي بكر الصديق ﷺ شهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة ، وحلاه بثاني اثنين كما قال ابن عمر ﷺ : (من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما ؟) .

وقال الله ﷻ : { والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون } ، قال جعفر الصادق : (لا خلاف أن الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به أبو بكر ﷺ ، وأي منقبة أبلغ من ذلك فيه ﷺ) .

فهل يدع مدع بعد هذا أو يزعم زاعم أن أحداً أحق بالخلافة من أبي بكر ﷺ ، فاعرفوا للصديق حقه واقدروا له قدره وأحبو ا حبيب رسول الله فحبه إيمان وبغضه نفاق .

[انظر كتاب الكبائر للإمام الذهبي (ص٢٤٠) ومرض النبي ﷺ ووفاته (ص٢٣) بزيادات] .

أقول : وكذا جميع الصحابة ﷺ عدول بنص القرآن ، قال ﷻ : { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه } [التوبة :] .

حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، علمت أن النبي ﷺ قد مات [٢]) .

وبايع المسلمون أبا بكر بالخلافة في سقيفة بني ساعده حتى لا يجد الشيطان سبيلاً إلى تفريق كلمتهم وتمزيق شملهم ولا تلعب الأهواء بقلوبهم وليفارق رسول الله ﷺ هذه الدنيا وكلمة المسلمين واحدة وشملهم منتظمة وعليهم أمير يتولى أمورهم ومنها تجهيز النبي ﷺ [٣] وكانت هذه البيعة لأبي بكر الصديق ﷺ من أهم الأمور التي وقعت بعد وفاة النبي ﷺ وقبل دفنه ﷺ ، ومن أجلها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله .

و إذا رأيت من يتنقص الصحابة فهو زنديق ، والطعن في الصحابة طعن في الدين ، لأن الدين ما وصل إلينا إلا من طريق الصحابة ، فالطعن في الصحابة كفر ، ولله در إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله تعالى حيث كان يستدل بكفر من طعن في الصحابة بقوله ﷻ : { يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار } ، فاعرفوا للصحابة قدرهم ودعوكم من تشغيب أهل الزندقة والكفر والزيغ والضلال [وانظر كتاب الفوائد لابن القيم (ص١٣٤-١٤٢)] .

(١) عَقِرْت : بفتح العين أي دهشت وتحيرت ، أما بضم العين فالمعنى هلكت .

[انظر : الفتح (٣٠/٧)] .

(٢) البخاري – الفتح – (١٢٤٢،١٢٤١/٣) (٣٦٦٨،٣٦٦٧/٧) (٤٤٥٤،٤٤٥٢/٨) من عدة طرق .

(٣) سيرة خاتم النبيين لأبي الحسن الندوي (٣٤٣و٣٤٤) .

تجهيز الجسد الشريف وتوديعه

(ولما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت - لا يدرون من هو أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه [(١)] ، فقاموا إلى رسول الله ﷺ فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون أيديهم .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه) [(٢)] .

قالت عائشة رضي الله عنها : (وكفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة) [(٣)] .

ولما فرغ من غسله وتكفينه ﷺ وقد تولى ذلك أهل بيته ودفن حيث مات لحديث عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا قَالَتْ : (لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ : سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ قَالَ : (**مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلا**

---

(١) وهذا من الآيات التي حصلت له ﷺ في هذا المقام :

● فإن إلقاء النوم عليهم جميعاً مخالف للعادة فهذه آية باهرة ، وتكلم من كلمهم في تلك الحالة في شأن غسل النبي ﷺ آية ثانية ، وهذا المتكلم بلا شك ملك من ملائكة الله ﷻ ، وفي هذا إجلال لرسول الله ﷺ .

[تهذيب الخصائص النبوية الكبرى للسيوطي (٤٥٥)] .

● ومن الآيات التي حصلت للنبي ﷺ أنه لم يظهر منه شيء مما يظهر من الموتى ولا تغيرت له رائحة وقد طال مكثه في البيت ، فكان طيباً حياً وميتاً ﷺ .

(٢) أبو داود (٣١٤١) ابن ماجة (١٤٦٤) مصباح الزجاجة (٢/٢٥) والحاكم (٣/٥٩) البيهقي (٣/٣٩٨) ابن حبان (٦٥٩٣،٦٥٩٤) كلهم من حديث عائشة [أحكام الجنائز للألباني (٦٦) صحيح السيرة لإبراهيم العلي (٥٧٨-٥٧٩)] .

(٣) أخرجه البخاري (١٢٦٤،١٢٧١،١٢٧٢،١٢٧٣،١٣٨٧) مسلم (٩٤١) أبو داود (٣١٥١،٣١٥٢) الترمذي (٩٩٦) النسائي (٤/٥٣) ابن ماجة (١٤٦٩) عبد الرزاق (٦١٧١) البيهقي (٣/٣٩٩-٤٠٠) أحمد (٦/٤٠) وغيرهم .

فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ) (١) .

يقول علي رضي الله عنه : (غسلت رسول الله ﷺ فجعلت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً وكان طيباً حياً وميتاً) (٢) .

فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي فيه ، وحفر له تحته ، وتولى ذلك أبوطلحة ، ثم وضع سريره على شفير القبر ، ثم دخلوا يصلون عليه أفراداً ، واحداً واحداً .

قال الإمام الشافعي : (إنما صلوا عليه مرَّة بعد مرَّة أفذاذاً ، لعظم قدره ، ولمنافستهم أن يؤمهم عليه أحد) (٣) .

ثم أنزلوه القبر وبين الأسى والحزن والدموع وتفطر القلب على الحبيب المغيب في اللحد أهالوا التراب على القبر الشريف بعد أن ألحد لحداً ونصب عليه اللبن نصباً (٤) .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : (لما ثقل رسول الله ﷺ جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة : واكرب أبتاه ، فقال ﷺ : (**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**) فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه ، ياأبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن ﷺ قالت لأنس : كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب) (٥) .

---

(١) الترمذي في الجامع (١٠١٨/٣) وفي الشمائل (٣٩١) [تحقيق فواز زمرلي - مهم -] ابن ماجة (١٦٣٨) البيهقي (٤٠٧/٣) أحمد (٢٦٠/١) أبو يعلى (٢٢،٢٣) أحكام الجنائز للألباني (١٣٧) .
وقد علم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة رضي الله عنها التي كانت تختص بها شرقي مسجده ﷺ في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة ، ثم دفن فيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما [البداية والنهاية (٢٩٣/٥)] .
وفي البخاري (٣١٨٩) عن عائشة رضي الله عنها : (أنه ﷺ دفن في بيتها) .
ولمزيد من الفائدة راجع ما كتبه سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز حول الموضوع نفسه في " مجموع فتاوى ومقالات " (٣٣٧/٤-٣٣٨) .

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٤٧/١) الحاكم (٣٦٢/١) البيهقي (٣٨٨/٣) . [أحكام الجنائز للألباني ٥٠)] .

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٩٩/٥) : (وهذا الصنيع وهو صلاتهم عليه فرادى أمر مجمع عليه ولا خلاف فيه) . [الفصول في اختصار سيرة الرسول لابن كثير (ص١٩٨-١٩٩)] .

(٤) وقد نقلوا أن عدد لبناته ﷺ تسع [شرح النووي على مسلم (٢٤/٧) مرض النبي ﷺ ووفاته (١٦٤)] .

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٦٢) الترمذي في الجامع (٣٧٩) وفي الشمائل ، النسائي (١٢/٤،١٣) ابن ماجة (١٦٢٩،١٦٣٠) الدارمي (٤٠/١-٤١) البيهقي (٧١/٤) أحمد (١٤١/٣،١٩٧) ابن حبان (٦٥٧٩،٦٥٨٨) .

ولكن مع تعلقهم به وحزنهم الحزن المنقطع النظير لم ينح عليه فقد نهى ﷺ عن النياحة أشد النهي .

وكان دفنه ﷺ ليلة الأربعاء بعد يومين من وفاته ، تقول عائشة رضي الله عنها : (ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ليلة الأربعاء) (١) .

وكان له ﷺ من العمر ثلاث وستين سنة ، عن أنس بن مالك ﷺ قال : (قبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين) (٢) .

أرادت فاطمة رضي الله عنها بقولها : (يا أنس أطابت أنفسكم ...) الخ معاتبة من تولى دفن رسول الله ﷺ على إقدامهم على ذلك لأنه يدل على خلاف ما عرفته عنهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له . وسكت أنس ﷺ عن جوابها رعاية لها ، ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك إلا أنا قهرناها على فعله امتثالاً لأمره ﷺ .

(١) مختصر الشمائل للألباني (٣٣١) والشمائل للترمذي تحقيق زمرلي (٤٧٨) .

(٢) مسلم (١٨٢٥/٤) ومدة مرضه ﷺ ثلاثة عشر يوماً كما ذهب إليه الأكثرون ، وقيل : بزيادة يوم وقيل بنقصه [الفتح (١٢٩/٨)] ؛ فمرضه ﷺ لليلتين بقيتا من صفر ووفاته اثنا عشر من ربيع أول .

فلما توفي الصديق ﷺ دفن بجانب صاحبه وكان هناك موضع قبر كانت عائشة تدخره لنفسها فلما طعن الفاروق أوصاهم أن يستأذنوا عائشة أن يدفن بجانب صاحبيه فلما قبض استأذنوها فأذنت وآثرته على نفسها وتحققت رؤياها فقد كانت رأت أنه ثلاثة أقمار سقطن في حجرتها فكأن الثلاثة هم الثلاثة أقمار الذين ملأوا الدنيا إيماناً وهدى وعدلاً ورحمةً ونوراً وضياءً ووضعوا الأساس الصالح للحضارة الإسلامية الفذة التي أرسى قواعدها هؤلاء السادة الأخيار وعزت عن أن يكون لها مثل و لم تكن القبور الثلاثة داخل المسجد حتى كان عهد الوليد ابن عبدالملك فأمر نائبه على المدينة عمر بن عبد العزيز أن يوسع في المسجد من جميع جوانبه فاضطروا إلى إدخال الحجر في المسجد ومنها حجرة عائشة ومع هذا احتاطوا غاية الاحتياط فأحاطوا القبور بحائط مرتفع لكي لا تظهر في المسجد فيصلي إليها العوام ثم بنوا جدارين من ركني الحجرة الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على هيئة رأس مثلث من الشمال حتى لا يتمكن المصلي من استقبال القبور في الصلاة عملاً بتحذير رسول الله ﷺ حيث قال في مرض موته وأكثر من القول : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياؤهم مساجد) [رواه الشيخان] وفي رواية لمسلم : (اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد) [السيرة النبوية لمحمد أبو شهبة (٥٩٩/٢،٦٠٠)] .

وسئل فضيلة الشيخ محمد العثيمين كيف نجيب عباد القبور الذين يحتجون بدفن النبي ﷺ في المسجد النبوي ؟ .

فأجاب بقوله : الجواب عن ذلك من وجوه :

الوجه الأول : أن المسجد لم يبن على القبر بل بني في حياة النبي ﷺ .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ لم يدفن في المسجد حتى يقال إن هذا من دفن الصالحين في المسجد ، بل دفن ﷺ في بيته .

مات رسول الله ﷺ :

فلو أن رب العرش أبقاك بيننا سعدنا ولكن أمره كان ماضياً

ودفن رسول الله ﷺ ورجع أصحابه بعد دفنه :

لئن رجعت عنك أجسامنا لقد سافرت معك الأنفس

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : (أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة) (١) .

وقال أنس رضي الله عنه : (وتوفاه الله ﷻ على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن النبي ﷺ توفي وهو ابن خمس وستين) (٣) .

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يبكون من تبكي السماوات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد

وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي (١) قال بلغنا أن النبي ﷺ عليل فأوجس أهل

الوجه الثالث : أن إدخال بيوت الرسول ﷺ ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق الصحابة بل بعد أن انقرض أكثرهم وذلك في عام أربعة وتسعون هجريه تقريباً ، فليس مما أجازه الصحابة بل إن بعضهم خالف في ذلك وممن خالف أيضاً سعيد ابن المسيب .

الوجه الرابع : أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله لأنه في حجرة مستقلة من المسجد وليس المسجد مبنياً عليه ولهذا جعل هذا المكان محفوظاً ومحوطاً بثلاثة جدران وجعل الجدار في زاوية منحرفة عن القبلة أي مثلث والركن في الزاوية الشمالية حيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى لأنه منحرف ، وبهذا يبطل احتجاج أهل القبور لذلك الشبهة .

[انظر : مجموع فتاوى رسائل الشيخ ابن عثيمين ، جمع السليمان (٢/٢٣٢-٢٣٣)] .

(١) أخرجه البخاري (٧/٣٥٣٦) مسلم (٤/١٨٢٦) .

(٢) البخاري (٦/٣٥٤٧) مسلم (٤/١٨٢٤) .

(٣) مسلم (٤/١٨٢٧) .

وقد جمع الإمام النووي رحمه الله بين تلك الأقوال الثلاثة جمعاً حسنا مرجحاً القول الأول ، فقال : (وتوفي رسول الله ﷺ وله ثلاث وستون سنة وقيل خمس وستون سنة وقيل ستون ، والأول أصح وأشهر ، وقد جاءت الأقوال الثلاثة في الصحيح ، قال العلماء : الجمع بين الروايات أن من روى ستين لم يعد معها الكسور ومن روى خمس وستين عد سنتي المولد والوفاة ، ومن روى ثلاث وستين لم يعدهما ، والصحيح ثلاث وستون .

[تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢٣) ومرض النبي ﷺ ووفاته (٢٣)] .

الحي خيفة على النبي ﷺ وبت بليلة طويلة حتى إذا كان قرب السحر نمت فهتف بي هاتف في منامي وهو يقول :

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النـــخيل ومقعد الآطام

قبض النبي محمد فعيـــوننا تذري الدموع عليه بالتسجام

قال فوثبت من نومي فزعاً فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابـــح ومواســـم نجـــم فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب على عادة أهل الجاهلية قال فعلمت أن النبي ﷺ قبـــض أو هو ميت ، فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحج أهلوا جميعاً بـــالإحرام فقلت : مه إلي ، فقالوا : قبض رسول الله ﷺ .

---

(١) واسمه : خويلد بن خالد ، وقيل ابن محرِّث ، وهو شاعر جاهلي إسلامي مات أيّام عثمان وعامـــة شـــعره في إسلامه حضر سقيفة بني ساعدة .

مواقف الصحابة ﷺ بعد وفاته ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال : (لما كان اليوم الذي قدم فيه النبي ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه النبي ﷺ أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا من التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا [١]) وفي لفظ آخر من حديث أنس ﷺ أيضاً : (شهدته يوم دخل المدينة فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ ، وشهدته يوم موته فما رأيت يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ [٢]) هذا تعبير عن اللوعة بفقد أكرم الرسل ، وأنها ساعة شديدة حتى أنكروا أنفسهم من شدة الحزن وانقطاع الوحي وفقد الصحبة .

(إن موت رسول الله ﷺ حدث أذهل العقول وفزع القلوب وروع الأنفس وأفقد الوعي والفكر والفهم وبدا الناس في شأنه حيارى حتى كأنه شيء لم يكن أن يكون كان ﷺ ملء القلوب والنفوس والأبصار والأسماع وملء الدنيا بأسرها فلما مات كان الفراغ الذي تركه شيءً لا يتصوره العقل ولا يحده إدراك وكان وقعه على الناس أشد من أن يحتمل) [٣] فاضطرب الصحابة جميعاً لهول الكارثة وزلزلت المدينة زلزالها وطاشت عقول كثير من كبار الصحابة [٤] والسابقين إلى الإسلام لعظم المصيبة ولم يكن فيهم أثبت من العباس وأبي بكر رضي الله عنه ، وما ذلك إلا لحبهم لرسول الله ﷺ حب امتزج بدمائهم وأعصابهم ، والصدمة بفقد الأحباب تكون على قدر المحبة ، وأي حب في الدنيا يبلغ حب

---

(١) الترمذي في الجامع (٣٦١٨) وفي الشمائل (٣٧٤) ابن ماجه (١٦٣١) الحاكم (٥٧/٣) أحمد (١٢٢/٣، ٢٢١، ٢٤٠، ٢٦٨، ٢٨٧) ابن حبان – موارد – (٢١٦٢) الدارمي (٤١/١) شرح السنة للبغوي (٣٨٣٤/١٤) [صحيح السيرة النبوية لابراهيم العلي (٥٨٤) ومختصر الشمائل للألباني (ص١٩٧)] .

(٢) الترمذي في الشمائل (٤٨٤) الحاكم (٥٧/٣) الدارمي (٤١/١) وانظر مشكاة المصابيح (٥٤٧/٢) .

(٣) صور من حياة الرسول ﷺ لأمين دويدار (ص٦٠٠-٦٠١) .

(٤) ولا غرو أن يحدث هذا الأثر لدى صحابة رسول الله ﷺ ولو كانوا على يقين بأن كل كائن حي فمصيره الموت ولكن المصيبة فادحة والخطب جلل وقضاء الله لا راد له وهو على كل شيء قدير وما لنبي الله عند ربه خير وأبقى ... [انظر : النهج المحمدي لعبد العزيز المسند (ص٢٣٨)] .

هؤلاء الصحابة الأبرار لرسول الله ﷺ ، وحتى كان منهم من جن ومن صعق ومن أقعد ومن أنكر و لم يُصَدِّق ومن أخرس عن الكلام فما تكلم إلا من الغد [1] لِمَا راعه من موت رسول الله ﷺ ، وحتى قام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ثائراً في الناس يتوعد من يقول إن رسول الله ﷺ قد مات بقوله : (والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قبض إلا ضربته بسيفي هذا !!) [2] .

إن عمر ﷺ لا يستعمل السيف إلا في الأمر الجلل ، فما باله يتهدد بسيفه ؟! ، إن شأن الرسول ﷺ عظيم في نفسه ، إن مترلته ﷺ رفيعة في فؤاده لقد أحبه أكثر من حبه لنفسه وولده وزوجه وماله والناس أجمعين [3] ؛ فكيف بمن يقول : مات رسول الله ﷺ [4] .

المصيبة عظيمة والخطب جلل فرسول الله ﷺ قائدهم ونبيهم قد توفي قد رحل عنهم لقد تعودوا أن يروه كل يوم عهدوه إماماً يصلي لهم خمس مرات في اليوم والليلة ويعود مرضاهم ويشاركهم أحزانهم وأفراحهم ويقضي حوائجهم قد كان أباً لمن لا أب له وأخاً لمن لا أخ له وعوناً للأرملة واليتيم والمسكين لقد عهدته الأمة سائساً لأمرها يستقبل الوفود ويوجه السرايا والبعوث ويرسل الرسل ويدبر أمر الدولة الإسلامية الوليدة حركة دائبة وتوجيه متصل ... وفجأة يتوقف كل ذلك وقبل ذلك ينقطع نزول الوحي بعد أن كان يملأ الأرض نوراً وخيراً ... .

---

(١) الروض الأنف للسهيلي (٥٨٥/٧) ، ولطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (١١٤) .

(٢) جزء من حديث طويل رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه والطبراني في الكبير والنسائي وهو في مختصر الشمائل رقم (٣٣٣) ... .

(٣) وقد شهد له المصطفى ﷺ بصدق حبه له أخرج البخاري (٦٦٣٢) عن عَبْدَاللَّهِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ : لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**) فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**الْآنَ يَا عُمَرُ**) .
وأخرجه برقم (٦٢٦٤،٣٦٩٤) وأحمد (١٧٥٨٦،١٨٤٨٢،٢١٩٩٧) .

(٤) هكذا ذهب الحادث بألباب الناس حتى أذهلهم ، وحتى ذهب الظن بعمر أن رسول الله ﷺ لم يمت وأنه سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، ولكن كلمة أبي بكر ردت عمر إلى صوابه وكشفت للناس عن حقيقة ما كانوا ليجهلوها ، ولولا عظم المصيبة بفقد رسول الله ﷺ أذهلهم حتى نسوا أن رسول الله ﷺ بشر من الناس يجوز عليه ما يجوز على الناس من الحياة والموت [صور من حياة الرسول (٦٠٢)] .

وهكذا نزل خبر وفاة رسول الله ﷺ على الصحابة كالصاعقة لشدة حبهم له وما تعـودوه من العيش في كنفه عيش الأبناء في حجر الآباء بل أكثر من ذلك ... [١] .

قال الشاعر :

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت أعهد

ويقول الآخر :

ذم المنازل بـعد منزلة اللـوى ... والعيش بعد أولئك الأيـام

جـزى الله عنا كل خير نبينـا ... فقد كان مهدياً وقد كان هادياً

وكان رسول الله روحاً ورحمـة ... ونوراً وبرهاناً من الله بـاديـاً

وكان رسول الله بالقسط قائمـاً ... وكـان لما استرعاه مولاه راعياً

وكان رسول الله يدعو إلى الـهدى ... فـلبى رسول الله لبيه داعيـاً

أينسى أبر الناس كلهـم ... وأكرمهم بيتاً وشعباً ووداديـاً

أينسى رسول الله أكرم من مشـى ... وآثاره بالمسجدين كما هيـا

تـكـدَّر من بعد النبي محمـد ... عليه سلام كل ماكان صافيـا

---

(١) **وقفة تأمل** :

حين توفي ﷺ كان بين أحب الناس إليه وخير الأجيال ، وهو أحب الناس إليهم وهم يحبونه أكثر ممن سواهم ومـع ذلك لم يقيموا أربعينية ولم يحتفلوا بذكرى ولادته لتخليد ذكراه ، أو ما بدأت في الآونة الأخيرة من بعض البـدع تنتشر عندما يموت ميت أو بعد موته ومن ذلك الوقوف دقيقة على روحه ، أو اتخاذ مصائب الأنبياء وموتاهم مـآتم والإحداد عليهم وتجديد الأحزان وتكرار النبش عن الجراح والمصائب مرَّة ثانية ، أو الإحداد على الميـت بتنكيـس الأعلام وتعطيل الأعمال لوفاة زعيم من الزعماء مدة معينة ، فالصحابة ﷺ لم يفعلوا شيئاً من هذه الأمور المحدثـة وكل ما فعلوه هو الصدق والإخلاص في اتباعه واقتفاء أثره وأحبهم إليه وأكثرهم اتباعاً له .

لقد مات الرسول ﷺ وانتقل إلى الرفيق الأعلى في قوم هو أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم وأموالهم وأنفسهم فمـا رفعوا له قبراً ولا وضعوا له ستراً ولا أقاموا له مولداً ، وسار الأمر على ذلك مئات السنين حتى خلف من بعدهـم خلف غيَّروا وبدلوا واخترعوا وابتدعوا فإلى الله المشتكى .

خصائص الأنبياء فيما يتعلق بالوفاة [١]

شاء الله ﷻ وقدَّر أن يكون الأنبياء والمرسلون من جنس البشر ، { قل إنما أنا بشر مثلكم } [٢] ، وفي جنس الذكور دون الإناث ، كما قال ﷻ : { وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم } [٣] وقد خصَّهم ﷻ بأُمور دون سائر الناس ؛ والذي نحن بصدده هو خصائصهم عليهم الصلاة والسلام فيما يتعلق بالوفاة :

١- التخيير عند الموت :

من خصائص الأنبياء أنهم يخيَّرون عند الموت بين البقاء في الدنيا والرَّحيل إلى الآخرة ، ففي الحديث : (**ما من نبي يمرض إلا خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة**) [٤] .

ولكنهم عليهم الصلاة والسلام يختارون الآخرة { مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين } تقول عائشة رضي الله عنها : (**فعلمت أنه خُيِّرَ**) [٥] .

٢- أحياء في قبورهم :

واختص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأنهم يبقون بعد موتهم أحياء في قبورهم يُصلّون ، كما صح عن النبي ﷺ [٦] .

---

(١) باختصار وتصرف من كتاب " من نبأ المرسلين " د : سليمان حمد العودة (ص١٥-١٧) .

(٢) سورة الكهف الآية : ١١٠ .

(٣) سورة النحل الآية : ٤٣ .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم . انظر السلسلة الصحيحة (٢/٣١٦) والرسل والرسالات للأشقر (٩١) .

(٥) البخاري (٨/٢٥٥- الفتح) .

(٦) أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أنس ، انظر صحيح الجامع (٢/٤١٤) ، وقد وهم الأشقر في (الرسل والرسالات ص ٩٣) حيث نسبه للجماعة .

٣- لا تأكل الأرض أجسادهم :

وهذا إكرام من الله ﷻ ، فمهما طال بهم الزَّمن وتقادم بهم العهد فأجسادهم محفوظة من البلى ، وفي الحديث : (**إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**) [١] .

٤- يُقبرون حيث يموتون :

فلا يقبر نبي إلا في الموضع الذي مات فيه ، ففي الحديث الصحيح : (**لم يُقْبَر نبي إلا حيث يموت**) [٢] .

ولهذا فإن الصحابة ﷺ دفنوا الرسول ﷺ في حجرة عائشة رضي الله عنها ، حيث قُبِضَت روحه ﷺ فيها وقد تقدَّم (٣) .

تنبيه : ليعلم أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة برزخية لا يعلم حقيقتها وكنهها إلا الله ﷻ ، ليست كحياة الدنيا ، ولا تقاس على الحياة الدنيا .

(١) رواه أبو داود (١٠٤٧، ١٥٣١) والنسائي (١٣٧٤) وابن ماجة (١٠٨٥) وأحمد (٨/٤) والدارمي () وابن خزيمة (١٧٣٣، ١٧٣٤) وابن حبان (٩١٠) والحاكم (٢٧٨/١) (٥٦٠/٤) والطبراني في الكبير (٥٨٩) كلهم من حديث أوس بن أوس .

انظر : فتح الباري (٤٨٨/٦) والبداية والنهاية (٢٧٦/٥) وتهذيب الكمال (٤٤٩/١) وحياة الأنبياء (٩) وكشف الغمة لمصطفى بن إسماعيل (ص٢٢٧، ٢٢٨) والسلسلة الصحيحة (١٥٢٧) والإرواء (٤)

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح ، انظر صحيح الجامع (٤٦/٥) والرسل والرسالات (٩١) .

(٣) انظر (ص٤٢، ٤٣) من هذه الرسالة .

موقفنا تعزية وتسلية

يقول ﷺ : (إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب)[1] يتبين لنا من هذا الحديث أن موت النبي ﷺ أعظم المصائب التي حلت وستحل بأمة الإسلام ويطلب رسول الله ﷺ منا أن نذكر بمصائبنا موته وفراقه وبذلك تهون المصائب والخطوب .

وما من عزيز أو حبيب أو قريب أو صديق فقدناه إلا وذاق القلب من لوعة فراقه وحرقة وداعه فهل شعرنا بشيء من هذا ونحن نستشعر فراق وموت النبي ﷺ ماذا لو فقد الرجل أسرته كلها وقد احترق قلبه وأدمي فؤاده وأنبتت دموعه الأسى ثم تزوج بعد فترة وعقب سنوات مات أحد أبنائه كيف يكون حزنه وألمه إذا ما قورن بالمصائب الأول ؟ أليس الخطب أهون والمصيبة أقل .

قال الشاعر:

إذا حلت بساحتك الرزايا	فلا تجزع لها جزع الصبي
فإن لكل حادثة عـــزاء	بما قد كان من فقد النبي

وهكذا ينبغي أن نعزي أنفسنا كلما أصابتنا المصائب بذكر موت النبي ﷺ إن رسول الله ﷺ يخاطبنا فيقول **(يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي)**[2] .

ولو تأملنا كلمة (فليتعز) لوجدنا فيها الدواء والعلاج إنها حروف يستطب بها الفؤاد ، ماذا لو فقد الإنسان أبويه الحبيبين في حادث سيارة ، ألا يظل أثر المصيبة في قلبه مدى الدهر

---

(١) الطبراني في الكبير والدارمي (١/٤٠) ومالك وغيرهم كما في السلسلة الصحيحة برقم (١١٠٦) .

(٢) ابن ماجه (١٥٩٩) والبداية والنهاية (٥/٢٧٦) [صحيح ابن ماجه (١٣٠٠) السلسلة الصحيحة (١١٠٦)] .

وإن أي إنسان فقدته ليهون أمام فقدان النبي ﷺ [١] .

وصدق رسول الله ﷺ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة وكان موته ﷺ كما قال القرطبي رحمه الله تعالى : أول أمردهم الإسلام وأخبر ﷺ أن وفاته من أُولى علامات قرب الساعة فقد قال ﷺ لعوف ابن مالك : (**أعدد ستاً بين يدي الساعة موتي** ....) [٢] لأن فيها انقطاع الوحي من السماء إلى يوم القيامة وانقطاع النبوات وكما قالت أم أيمن عند وفاته ﷺ : (ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء) .

ونص الحديث عن أنس رضي الله عنه قال : (قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها : ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ، فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها) .[٣] .

وذكر موسى بن عقبة في قصة رسول الله ﷺ أن الناس رجعوا حين فرغ أبو بكر من خطبته وأم أيمن قاعدة تبكي فقيل لها : ما يبكيك يا أم أيمن ؟ قد أكرم الله ﷻ نبيه ﷺ وأدخله جنته وأراحه من نصب الدنيا ، فقالت : (إنما أبكي على خبر السماء كان يأتينا غضاً جديداً كل يوم وليلة فقد انقطع ورفع وعليه أبكي ..) فعجب الناس من قولها [٤] .

نعم وبوفاة رسول الله ﷺ كان أول ظهور الشرور والفتن والفساد بارتداد العرب وانقطاع عرى الدين ونقصانه ونجوم النفاق واشرء باب اليهودية والنصرانية كما أن بقاء النبي ﷺ

---

(١) مصيبة موت النبي ﷺ وأثرها في حياة الأمة للعوايشة صفحة (٥-٨) ... ماعدا بيتي الشعر .

(٢) رواه البخاري [المسند الجامع (١٤/ح١٠٩٦٧)] .

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٥٤) ابن ماجة (١٦٣٥) البيهقي في الدلائل (٢٦٦/٧) أبو يعلى (٩٦) ابن سعد (٢٢٦/٨) أبو نعيم (في الحلية (٦٨/٢) النووي في رياض الصالحين . وأم أيمن هي : حاضنة رسول الله ﷺ وخادمته في طفولته ، أعتقها النبي ﷺ حين كبر وزوّجها زيد بن حارثة رضي الله عنهما .

(٤) دلائل النبوة للبيهقي (٢٦٦/٧) .

أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان لأمته ﷺ ، كما يقول ﷺ : (النجـــوم أمنـة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبـت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمـتي مـا يوعدون) [١] .

قال بعضهم ﷺ : الرسول ﷺ هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو بـاق فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن ونسلي أنفسنا بموقف عدي بن معن فقد سمع صحابة رسول الله ﷺ يبكون لوفاة رسول الله ﷺ ويقولون : (والله لوددنا أنا متنا قبله إننا نخشى نفتن بعده ... فقال معن لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقتـه حياً) [٢] ... .

تقول أم سلمة رضي الله عنها : (يالها من مصيبة ما أصابنا بعدها بمصيبة إلا هـانت إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ) .

وقال أبو الجوزاء : (كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخـوه فصافحـه وقال له : يا عبد الله ثق بالله فإن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة) [٣] .

ولله در القائل حين قال :

تذكرت لما فرق الدهر بيننا	فعزيت نفسي بالنبي محمـــد
وقلت لها إن المنايا سبيلنـــا	فمن لم يمت في يومه مات في غد [٤]

---

(١) مسلم (٢٥٣١) وأحمد (١٩٠٧٢) .

قوله : (النجوم) أي الكواكب ، ومعنى : (أمنة) أي أنها سبب أمن السماء فما دامت النجوم باقية لا تنفطـر ولا تتشقق ولا يموت أهلها ، (فإذا ذهبت النجوم) أي تناثرت ، (أتى السماء ما توعد) من الإنفطار والطي كالسجل (فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون) من الفتن والحروب واختلاف القلوب ، (فإذا ذهب أصحابي أتـى أمـتي مايوعدون) من ظهور البدع وغلبة الأهواء واختلاف العقائد وظهور الروم وانتهاك الحرمين وقلت الأنوار وقويت الظلمات . [مصيبة موت النبي صفحة ٢٤-٢٥] .

(٢) النهج المحمدي للشيخ عبدالعزيز المسند صفحة (٣٥٢).

(٣) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (ص٢١٤) .

(٤) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (ص٢١٥) .

ولا يملك المرء المسلم إذا تذكر وفاته ﷺ إلا أن يقول إنا لله وإنا إليه راجعون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ويبكي مع حسان رضي الله عنه وهو يرثي النبي ﷺ والقلب جريح والعين تذرف والدمع منهمر :

فَبَكّي رسول الله ياعين عبرة [١] ولا أعرفك الدهر دمعك يجمد

ومالك لا تبكين ذا النعمة التي على الناس فيها سابغ يتغمد

فجودي عليه بالدموع وأعولي لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقد

وقوله :

كنت السواد لناظري فعمي فبكى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

ورضي الله عن سيدنا أبي بكر الصديق حيث يقول :

ياعين فابكي ولا تسأمي وحق البكاء على السيد

على خير خندف عند البلا وأمسى يغيب في الملحد

فصلى المليك ولي العباد ورب البلاد على أحمد

فكيف الحياة لفقد الحبيب وزين المعاشر في المشهد

فليت الممات لنا كلنا وكنا جميعاً مع المهتد [٢]

وقوله :

لما رأيت نبينا متجندلاً ضاقت علي بعرضهن الدور

وارتعت روعة مستهام واله والعظم مني واهن مكسور

أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى وبقيت منفرداً وأنت حسير

ياليتني من قبل مهلك صاحبي غيبت في جدث علي صخور

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢٩٤/٤) .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣١٩/٢) .

فلتحدثن بدائع من بعـــــده تعيا بهن جوانح وصـــدور [١]

ولله در القائل :

لعمرك ماالرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حـرٍّ يـموت لموته خلق كثير

وقال أبوسفيان بن الحارث رضي الله عنه ابن عم النبي ﷺ يرثي رسول الله ﷺ :

أرقت فبات ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طول

وأسعدني البكاء وذاك فيما أصـيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها تكـــاد بنا جـوانبها تميل

فقدنا الوحي والتزيل فينا يـروح به ويـغدو جبرئيل

وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس أو كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا بما يوحـى إليه وما يقـول

ويهدينا فلا نخشى ضلالاً علينا والـرسول لنا دلـيل

أفاطم إن جزعت فذاك عذر وإن لم تجزعي ذاك السبيـل

فقبر أبيك سـيد كل قـبر وفيه سيد الناس الرسول [٢]

وقال أبو العتاهية [٣] مسلياً بعض إخوانه في ولد له اسمه محمد :

اصبر لكل مصيبة وتجلـــد واعلم بأن المرء غير مخلـد

أو ما ترى أن المصائب جمـة وترى المنية للعباد بمرصـد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة هذا سبيل لست فيه بأوحـد

فإذا ذكرت محمداً ومصابـه فاذكر مصابك بالنبي محمد [٤]

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/٣٢٠) .

(٢) البداية والنهاية (٥/٢٨٢) الروض الأنف للسهيلي (٧/٥٩٣،٥٩٤) .

(٣) هو أبو إسحاق اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العيني الشاعر المشهور بقصائد الوعظ .

(٤) شرح ديوان أبو العتاهية (٦٧) .

وقد رثاه كثير من الشعراء وغيرهم ، وأكثرهم أفحمهم المصاب عن القول وأعجزهم الصفة عن التأبين ولن يبلغ بالإطناب في مدح ولا رثاء في كنه محاسنه عليه السلام ولا قدر مصيبة فقده على أهل الإسلام .

وهكذا فاضت أطهر روح في الدنيا من جسدها وصعدت إلى بارئها راضية مرضية وخرج أكرم إنسان على الله في هذا الوجود من الدنيا كما جاء إليها توفي ﷺ فلم يترك بعد وفاته مالاً ، ولا بنى في حياته لبنة على لبنة [١] ولا وضع قصبة على قصبة وإليك بيان شيء من ذلك،خرج من الدنيا ﷺ و لم يترك مالاً ولا ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء [٢] وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة) [٣] .

وتوفي ﷺ ودرعه [٤] مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير كما تقول عائشة رضي الله عنها ، وما وجد ما يفك به رهنه [٥] .

وكانت عنده سبعة دنانير أو ستة فأمر عائشة رضي الله عنها أن تتصرف بها .

تقول عائشة رضي الله عنها : (توفي الرسول ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فَكِلْتُهُ فَفَنَى) [٦] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال : (والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام

---

(١) اللبنة : الطوبة التي يُبْنَى بها . والقصب : كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً ، الواحدة قصبة ، ومنه صَلب غليظ تُعْمَلُ منه " المزامير " وتُسقّف به البيوت ، وكان ذلك قديماً ، وهو ما يُعرف بـ (الغاب) وكانت تُتَّخذ منه الأقلام .

(٢) له ﷺ ، خمسة بغال منها : الشَّهْباء أهداها إليه المقوقس وفِضَّة أهداها إليه فَرْوَة بن عمرو [انظر كتاب الشجرة النبوية في نسب خير البرية (ص٩٩)] .

(٣) البخاري (٢٩١٢،٢٧٣٩،٣٠٩٨،٤٤٦١) النسائي (٣٥٩٤،٣٥٩٥،٣٥٩٦) أحمد (١٧٩٩٠) .

(٤) له دروع كثير ﷺ منها : ذَات الفُضول (سميت بذلك لطولها) وذات الوشاح (سميت بذلك لنعومتها) وذات الحواشي والسُّغْدِيَّة والبتراء والفضة والخِرْنَق [انظر كتاب الشجرة النبوية في نسب خير البرية (ص٩٦)] .

(٥) رواه البخاري في الجهاد (ب٨٩) والمغازي (ب٨٦) والترمذي (ب٧) والنسائي (ب٥٨،٨٣) والدارمي (ب٤٤) كلهم في البيوع وابن ماجة في الرهون (ب١) وأحمد (٢٣٦/١،٣٠٠،٣٠١) (١٠٢/٢،١٣٣،٢٠٨،٢٣٨) (٤٥٣/٦،٤٥٧) .

(٦) البخاري (٦٤٥١،٣٠٩٧) مسلم (٢٩٧٣/٤) الترمذي (٢٤٦٧) ابن ماجة (٣٣٤٥) أحمد (٢٤٢٤٧) .

تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا) [١] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (إن كنّا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أُوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار) فقلت وما كان يُعيشكم قالت : (الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار كان لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقينا) [٢] .

وعن سعد ﷺ قال : (كنا نغزوا مع النبي ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ما له خلط) [٣] .

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : (مكث النبي ﷺ وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثاً ولم يذوقوا طعاماً) قال جابر ﷺ : (فحانت مني التفاتة فإذا رسول الله ﷺ قد شد على بطنه حجراً) [٤] .

وهذا يدل على شدة الحال وقلة ما في اليد عند النبي ﷺ ، ما ترك شيئاً من الدنيا ﷺ ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

ولكنه ﷺ ترك هداية وإيماناً وشريعة خالدة ووحياً عظيماً وأُمَّة هي خير أُمة وأوسطها .

هكذا فارق ﷺ الدنيا وهو يحكم جزيرة العرب ويرهبه ملوك الدنيا ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم وأموالهم .

(وكان ذلك يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ من هجرة رسول الله ﷺ عند الزوال وله ﷺ (٦٣ سنة) وكان أشد الأيام سواداً ووحشة ومصاباً على المسلمين ومحنة للإنسانية كما كان يوم ولادته أسعد يوم طلعت فيه الشمس [٥] فصلى الله عليه وسلم يوم ولد ويوم

---

(١) البخاري (٦٤٥٦) مسلم (٢٠٨٢) أحمد (٦/٤٨،٥٦،٧٣) الترمذي (١٧٦١) .

(٢) البخاري (٦٤٥٩) مسلم (٢٩٧٢) .

(٣) البخاري (٣٨٢٨) مسلم (٢٩٦٦) الترمذي (٢٣٦٧) أحمد (١/١٧٤،١٨١،١٨٦) .

(٤) أحمد (٣/٣٠٠) أبو يعلى (٢٠٤٤) .

(٥) سيرة خاتم النبيين لأبي الحسن الندوي (٣٣٨) .

يموت ويوم يبعث حياً .

كانت هذه السنوات القليلة من تاريخ البشرية هي أعظم سنواتها وتكون أعظم جيل في هذا الوجود (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) ولا بد أن يستشعر الداعية المسلم دائماً وأبداً هذا المعنى [١] .

هكذا انتهت الحياة الدنيوية لأكرم خلق الله على الله وأكرم إنسان للإنسانية عاش حياته مجاهداً منذ خلقه الله تعالى إلى أن قبضه سبحانه وتعالى إليه ، جاهد الرذيلة غلاماً فكان الفاضل في صباه وكان الأمين في شبابه ولم تكن الحياة أمامه رخاء سهلاً بل ذاق اليتم وإن لم يقهر كما يقهر اليتامى وذاق طعم الفقر وان لم يترب نفسه حتى إذا كلف أداء الرسالة حمل عبأها وذاق مرارة الأذى في سبيلها وهو صابر مصابر حتى إذا هاجر حمل السيف مجاهداً كما حمل القرآن هادياً ومعلماً يعلي الإنسانية ويكرمها ويسامح ويواد حتى كان الإنسان الكامل في هذا الوجود وإذا كان قد دفن جسده فلن تدفن شريعته بل إن أثره باق إلى يوم القيامة وهو أثر عظيم ونعم ذلكم الأثر العظيم الذي ختم الله به الرسالات وجعله آخر عهده بالناس وهو عام لكل البشر وقد ثبت وقوي وانتشر بعد وفاة رسول الله ﷺ وصدقت فيه أخباره فلم تمض فترة وجيزة حتى كانت كنوز إيوان كسرى في المدينة وحتى بلغ الإسلام المشرق والمغرب وتكاثر المسلمون ... واتسعت دولة الإسلام ... وتسابق الناس للدخول فيه ، وذلك لأنه ﷺ ربّى أمة [٢] تقلدت مهام النبوة ومسئولياتها من

---

(١) فقه السيرة النبوية لمنير القضيان (ص٧٢٧) .

(٢) أقول : كم يسعد المرء في آخر لحظات العمر أن ينظر وراءه نظرة سريعة فيرى حياة مباركة مليئة بالأعمال الخيِّرة حافلة بالصالحات ، ويرى رجالاً تربُّوا على يديه فأصبحوا مشاعل هداية ودعاة حق . إذا أراد الدعاة أن يعرفوا مدى نجاحهم وتوفيقهم فليتصوروا أنفسهم في آخر لحظات الحياة وليتأملوا كيف يكون حالهم ، أيكونون سعداء عند ذاك أم أشقياء ، كثيرون هم الذين يخدعون أنفسهم في الحياة ويظنون أنهم على جادة الصواب ويخدعهم الناس بثنائهم عليهم إذ يوهمونهم بذلك أنهم في الصدارة ولكن عند لقاء الله ينكشف الغطاء ويعلم الناس الحقيقة ويندمون على إضاعة الحياة فيما لا يجدي ، وقليل أولئك الذين يفرحون وهم ينظرون وراءهم فتطالعهم أعمالهم الخيرة ويتنظرون أمامهم ويشتاقون إلى لقاء الله راغبين فيما عنده { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا

غير نبوة وكلفت النهوض بالدعوة وصيانة الدين من التحريف .

ومهما قوي سلطان المادة وداعي الشر فإن الخير باق في هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة حيث يقول ﷺ : (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**) وفي حديث آخر : (**لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله ﷻ لا يضرها من خالفها**) وفي حديث آخر : (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال**) [(١)] .

جعلنا الله تعالى من هذه الطائفة ، آمين ... .

هكذا انتهت حياة هذا النبي الكريم والقائد الكبير وحفظ الله أمته من بعده . يذهب الداعية وتبقى الدعوة يذهب النبي ﷺ ويبقى الله الحي الذي لا يموت ... .

وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين } [مواقف ذات عبر لعمر سليمان الأشقر (ص٥٦،٥٧)] .

(١) حديث مشهور روي عن جمع من الصحابة منهم :

❁ جابر بن عبد الله رضي الله عنه : مسلم (١٥٦،٩٢٣) أحمد (١٤٧٠٧) .

❁ ثوبان رضي الله عنه : مسلم (١٩٢٠) الترمذي (٢٢٢٩) أبو داود (٤٢٥٢) ابن ماجة (١٠) .

❁ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : مسلم (١٠٣٧) أحمد (١٦٤٣٩،١٦٤٨٥) .

❁ قُرَّة بن إياس المزني رضي الله عنه : الترمذي (٢١٩٢) ابن ماجة (٦) أحمد (٤٣٦/٣) (٣٥/٥،٣٤) .

❁ أبي هريرة رضي الله عنه : ابن ماجة (٧) .

❁ سلمة بن نفيل رضي الله عنه : النسائي (٣٥٦١) أحمد (١٦٥١٧) .

❁ عمران بن حصين رضي الله عنه : أبو داود (٢٤٨٤) أحمد (١٩٣٥٠،١٩٤١٩) الدارمي (١٨١٣) .

❁ أبي أمامة رضي الله عنه : أحمد (٢١٨١٦) .

❁ زيد بن أرقم رضي الله عنه : أحمد (٢١٨١٦) .

والحديث علّقه البخاري ومسلم (باب قول النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي ..) .

من حقوقه ﷺ علينا حباً واتباعاً

أيها المسلمون هذا ربكم وهذا رسولكم وهذا دينكم يقول ﷻ : { ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم } . ويقول ﷻ : { وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } . وقال ﷻ : { وإن تطيعوه تهتدوا } . ويقول ﷻ : { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم } .

فمحبته ﷺ باتباعه والإهتداء بهديه والسير على نهجه والتأسي به لا في إحياء الموالد[1] والأحزان والبدع ولا في قصائد غلو وشركيات . فإن هذه كلها بدع وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وكلها مخالفة لهدي الحبيب المحبوب ﷺ .

عباد الله هذا ربكم وهذا رسولكم وهذا دينكم فاتبعوه ﷺ في شعائره وشرائعه في أوامره اتخذوه قدوة وأسوة ومعلماً ... . فأقول : والله وبالله وتالله بوفاته غاب عن الدنيا أكمل إنسان فيها وأعظم إنسان فيها وما فقدته البشرية ورزئت به من غياب شخصه صلوات الله وسلامه عليه هو أمر جلل لا يعد له مصيبة ، لقد غاب عن هذه الدنيا سيد ولد آدم أعظم القادة وأعظم الدعاة وأعظم المربين وأعظم الحكام وأعظم العلماء وأعظم البشرية خاتم النبيين ورسول رب العلمين ولابد أن يستشعر الداعية المسلم ذلك دائماً وأبداً ...

ياهذه الدنيا أصيخي واشهدي ... أنّا بغير محمد لا نقتدي

إخواني : إن محبة الله ﷻ ورسوله ﷺ هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون وإليها يشخص العاملون وعليها يتفانى المحبون وبروح نسيمها يتروح العابدون فهي قوت القلوب

---

(١) والتي هي شر وشقاء وابتداع ومخالفة لهدي المصطفى ﷺ ومن المعلوم يقيناً أن محبة النبي ﷺ محبة كاملة من أعظم درجات الإيمان الصادق وليس من محبته ﷺ الاحتفال بالموالد ولو كان ذلك حباً له لفعله صحابة رسول الله ولما سئل ﷺ عن صومه يوم الاثنين قال : ((**ذلك يوم ولدت فيه وفيه بعثت وعلي أنزل**)) أي القرآن [مسلم] فاليوم الذي ولد فيه هو اليوم الذي مات فيه فليس الفرح فيه بأولى من الحزن على موته ﷺ .
أقول إن للنبي ﷺ حقوقاً على أمته وهي كثيرة منها الإيمان الصادق به ﷺ قولاً وفعلاً وتصديقه في كل ما جاء به ﷺ ووجوب طاعته والحذر من معصيته ﷺ ووجوب التحاكم إليه والرضى بحكمه وإنزاله منزلته ﷺ بلا غلو ولا تقصير واتباعه واتخاذه قدوة وأسوة في جميع الأمور ومحبته ﷺ أكثر من النفس والأهل والمال والولد والناس أجمعين واحترامه وتوقيره ونصر دينه والذب عن سنته ﷺ والصلاة عليه ﷺ . وإن الأموال التي تنفق في الاحتفالات لو أنفقت في بيان شمائل الرسول ﷺ وسيرته وأخلاقه وآدابه وتواضعه ومعجزاته وأحاديثه ودعوته للتوحيد التي بدأ بها رسالته وغيرها من الأمور النافعة لو فعل ذلك المسلمون لنصرهم الله كما نصر رسوله ﷺ ....

وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات وهي روح الإيمان والأعمال ... .

وبالجملة فلا حياة للقلب إلا بمحبة الله ورسوله ولا عيش إلا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم إليه واطمأنت قلوبهم به واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها إلا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات ... . ولقد بلغ حب الصحابة لنبيهم ﷺ مبلغاً عظيماً بحيث كانوا يتمنَّون فقد النفس والمال والولد ولا يشاك رسول الله ﷺ بشوكة .

فهذه امرأة أنصارية قتل أبوها وزوجها وأخوها يوم أحد مع رسول الله ﷺ فقالت : ما فعل رسول الله ﷺ . قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبين . فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه . فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله، وفي لفظ : تهون .

فكانت وفاة الرسول ﷺ أعظم المصائب حقاً وقاصمة ظهور المؤمنين صدقاً .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنك لأحب إليَّ من نفسي وإنك لأحب إلي من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك . وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك فلم يرد النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل بهذه الآية: { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً } [١] . وفي رواية أنه ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله ﷺ ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك ترفع مع النبيين وإني إن دخلت الجنة في مترلة أدنى من مترلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبداً فترلت هذه الآية [٢] .

قد كنت لا أرضى التباعد برهة ... كيف التصبر والبعاد دهور

نعم ما أمر عيش من فارق الأحباب خصوصاً من كانت رؤيته حياة الألباب كانت الجمادات تتقطع وتتمزق كمداً وحزنا على فراق رسول الله ﷺ فكيف بقلوب المؤمنين لما فقده الجذع

---

(١) رواه الطبراني بسند صحيح .

(٢) أي الآية السابقة .

الذي كان يخطب عليه حنَّ إليه وصاح كما يصيح الصبي فنزل إليه فاعتنقه فجعل يهدي كما يهدي الصبي الذي يسكن عند بكائه فقال ﷺ : **(لو لم أعتنقه لحن إلى يوم القيامة)** [1] .

وألقى حتى في الجمادات حبه … فكانت لإهداء السلام له تهدا

وفارق جذعاً كان يخطب عنده … فأنَّ أنين الأم إذ تجد الفقدا

يحن إليه الجذع ياقوم هكذا … أما نحن أولى أن نطيق له بُعدا

وقال الآخر :

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة … حتى المنابر ترثي وهي عيدان

وقال آخر [2] :

لو ذاق طعم الفراق رضوى … لكان من وجده يميد

قد حملوني عذاب شوق … يعجز عن حمله الحديد

ولله در فضيلة الشيخ عايض القرني حين يقول :

نسينا في ودادك كل غال … فأنت اليوم أغلى ما لدينا

نلام على محبتكم ويكفي … لنا شرفاً نلام وما علينا

---

(١) رواه ابن ماجه وأحمد والدارمي والطبراني في الكبير وأبونعيم في الدلائل .

۞ وفي حديث آخر : (فلما قعد نبي الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد حزنا على الرسول ﷺ فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن ثم قال : (أما والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنا على رسول الله ﷺ فأمر به رسول الله ﷺ فدفن) رواه الدارمي بسند صحيح من حديث أنس ﷺ . وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (ووقع في حديث الحسن عن أنس : (كان الحسن إذا حدث هذا الحديث يقول : يا معشر المسلمين الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه . وفي لفظ : (فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : يا عباد الله ؟ الخشبة تحنُّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه من الله ﷻ فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه) وهو حسن .

[دلائل النبوة للأصبهاني (١/٣٩٦،٣٩٧) تحقيق : مساعد سليمان الراشد الحميد] .

وبالجملة فإن أحاديث حنين الجذع لرسول الله ﷺ أكثر من أن تحصر ، ومن ثم قال البيهقي رحمه الله :(قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف) .

وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان وفيه تأييد لقول من يحمل قوله ﷻ : { وإن من شيء إلا يسبح بحمده } على ظاهره وقد نقل ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال : (ما أعطى الله ﷻ نبياً ما أعطى محمداً) فقلت : أعطى عيسى أحياء الموتى قال : أعطى محمداً حنين الجذع حتى سمع صوته فهذا أكبر من ذلك [من معجزات النبي ﷺ لمصطفى العدوي (ص٣٧)] .

(٢) لطائف المعارف (٢١٥) .

ولـــما نلقكم لكن شوقاً يـــذكرنا فكيف إذا التقينا

تـــسلى النـــاس بالدنيا وإنا لعـــمر الله بعدك مـــا سلينا

إخواني : ومما يسلينا ويواسينا ويطمئننا ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جـاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً و لم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : (**المرء مع من أحب**) [١] .

وما أخرجه الشيخان عن أنس ﷺ : < أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة . قـــال ﷺ : (**وماذا أعددت لها ؟**) . قال : لاشيء ، غير أني أحب الله ورسوله . قال ﷺ : (**أنـــت مع من أحببـــت**) . قال أنس رضي الله عنه : (فما فرحنا بشي فرحنا بقول النبي ﷺ : (**أنت مع من أحببت**) > . قال أنس رضي الله عنه : فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكـــر وعمر رضي الله عنهما وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم [٢] .

ونحن نقول ماقاله أنس ﷺ ومما يسلينا أيضا قوله ﷺ : (**إن الله عز وجـــل إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديـــها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه لهلكتها حـــين كذبـــوه وعصوا أمره**) [٣] .

فإن النبي ﷺ اختار التعجيل مع أنه خُيِّرَ إلى أن يرى ما يفتح الله على أمته وبين لقاء ربـــه ليكون فرطاً لهم ودفعاً لنزول العذاب عليهم بعصيانهم وهذا من فضل الله ﷻ ، بل ممـــا اختص الله ﷻ هذه الأُمة أن قُبِضَ نبيها ﷺ قبلها ، وذلك أَمارة على رحمة الله ﷻ لهذه الأُمة .

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٩،٦١٦٨) مسلم (٢٦٤٠) .

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً (٦١٦٧) مسلم (٢٩٣٣) (٢٦٣٩) الترمذي (٣٨٦) .

ورُوي من حديث : عبد الله بن قيس ﷺ : البخاري (٦١٧٠) مسلم (٢٦٤١) .

(٣) مسلم (٢٢٨٨) .

مِن مظاهر محبته ﷺ

كثرة تذكره وتمني رؤيته والشوق إلى لقائه ، وذلك أنَّ مَن أحب شيئاً أكثر مِن ذِكره ، ولا يكون ذلك إلا إذا شغلت المحبة قلب المُحِب وفِكره ، وسببُ ذلك الاستحضارُ للأَسباب والدواعي الباعثة على حب الرسول ﷺ ، ومعرفة قدر النعمة التي أنعم الله بها على النَّاسِ إذْ بَعث فيهم [رسولٌ مِن أنفسِهِم] . قال ﷻ : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويُزكيكم ويُعلمكم الكتاب والحكمة ويُعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ (١) .

ويَتبعُ ذلك تمنِّي رؤيته ﷺ والشوق إليه ، وسؤال الله اللحاق به على الإيمان ، وأن يجمع بينه وبين حبيبه ﷺ في مستقرّ رحمته .

وقد أخْبَر ﷺ بأنه سيوجد في هذه الأُمة أُناسٌ يودون رؤيته بِكلِّ ما يملكون . فأخرج مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « مِنْ أشد أُمتي حباً لي ناسٌ يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله » . ويدخل في هذا الشّوق للقائه ﷺ إذ كل حبيب يُحب لقاء حبيبه . وحينما قدم الأشعريون المدينة كانوا يرتجزون (غداً نَلْقَى الأَحِبَّة مُحَمداً وحِزبه) (٢) . فمزج مرارة الموت بحلاوة الشوقِ له ﷺ وصحابته ﷺ .

فأين شوق المسلمين اليوم إلى نبيهم ﷺ ؟ لقد غاب عند أكثر العالمين إلا من رحم ربي .

نعم ، لقد غاب ؛ لأَن الفِكْرَ والقَلب قد شُغِلَ بالتّنافس في حُطام الدُّنيا حت قلَّ تذكره ﷺ فَضلاً عن الشّوقِ للقائِهِ .

فَنسأَلُ الله ﷻ أنْ يُقظنا من رقدة الغافلين ، وأنْ يرزقنا الشّوق إلى لِقائه ، ولِقاء حبيبه ﷺ في غير ضَرَّاء مُضرَّة ولا فِتنة مُضلَّة

---

(١) البقرة : ١٥١-١٥٢ .

(٢) أخرجه احمد (١٠٥/٤،١٥٥) .

جامعة الوصايا وأم المواعظ

إن شأن كل مفارق مودع أن يكتب الوصية فهل ترك رسول الله ﷺ لنا وصية يوصينا بها ؟ نعم لقد ترك جامعة الوصايا وأم المواعظ، عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن العرباض بن سارية ﷺ – وكان من البكائين– قال : (صلّى الرسول ﷺ الغداة ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها الأعين ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله : كأن هذه موعظة مودع ؟ فقال ﷺ : (**اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**) [1] .

لابد من تدبر هذه الوصية لابد أن نعيش مع الوصية وتعيش معنا لابد أن نتذكرها في كل شأن من حياتنا في الملذات والمسرات وفي الآلام والأحزان في الأمن والفتن في الائتلاف والاختلاف لأن فيها السعادة وأسرار النجاة) [2] .

يا شباب الإسلام يامن عضضتم بالنواجذ على سنة خير الأنام عندما تخلى عنها الناس .

---

(١) أحمد (٤/٧٠) (٥/٣٨١) (٦/٤٠٢) الحاكم (٤/١٨٦) الطبراني (١٧/١٠١) السنة لأبي عاصم (١/٢٩) .

❁ أقول سبحان الله الرسول ﷺ يقول : (**فإن كل بدعة ضلالة**) ثم يأتي من يقول ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة أو يقول البدعة تنقسم إلى خمسة أقسام. يالها من مصادمة لكلام رسول الله ﷺ وهؤلاء مساكين غفلوا أو تغافلوا عن قول رسول الله ﷺ : (**الدين النصيحة**) (ثلاثاً) قلنا لمن يارسول الله ؟ قال : (**لله ﷻ ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم**) [مسلم (٥٥) أبو داود (٤٩٤٤) النسائي (٧/١٥٦) أحمد (٤/١٠٢) وانظر المفهم للقرطبي (١/٢٤٣)]

والنصيحة لرسوله ﷺ في حياته فنبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته وبذل المال إذا أراده والمسارعة إلى محبته . وأما بعد وفاته فالعناية بطلب سنته والبحث عن أخلاقه وآدابه وتعظيم أمره ولزوم القيام به وشدة الغضب والإعراض عمَّن يدين بخلاف سنته والغضب على من ضيعها لأثرة دنيا وإن كان متديناً بها وحب من كان منه بسبيل من قرابة أو صهر وهجرة أو نصرة أو صحبة ساعة من ليل أو نهار على الأسلام والتشبه به في زيه ولباسه .

[انظر : النصيحة وأثرها في بناء الفرد والمجتمع الفاضل لفواز أحمد زمرلي صفحة (٤٦)] .

(٢) مصيبة موت النبي – صلى الله عليه وسلم – صفحة (٣٧–٣٨).

يا شباب الإسلام يا من جعلتم قدوتكم نبيكم محمد بن عبد الله ﷺ عندما اقتدى باليهود والنصارى الراقص أو اللاعب أو الممثل أو الفنان .

يا شباب الإسلام يا من صرتم غرباء بين كثير من الناس .

يا شباب الإسلام يا من نُبزوا ولُمزوا وسُخر منهم ووصموا بالتطرف والأصولية والرجعية [١] لأنهم تمسكوا بالسنة والكتاب ، لا تتزعزعوا ولا تتضعضعوا ولا ترجعوا القهقرى . لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين اثبتوا اثبتوا اثبتوا فإن موعدكم مع رسول الله ﷺ على الحوض فهو سابق لكم بانتظاركم لكي تشربوا من يده الشريفة شربة هنيئة سائغة لا تظمؤوا بعدها أبداً فهنيئاً لكم ثم هنيئاً يقول قائدكم وإمامكم ونبيكم رسول ﷺ : (**إني بين أيديكم فرط** [٢] **وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها**) [٣] .

يقول راوي الحديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه : (فكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ) .

أخي في الله : تمسك بسنة نبيك وعض عليها بالنواجذ ، لا تتهاون بها لا تفرط فيها لا تقلل من شأنها ، أحيها في نفسك في الآخرين أدع إليها وأنت رافعاً بها رأسك معلياً بها نفسك مفتخراً متشرفاً بسنة نبيك ﷺ فإن موعدك مع نبيك ﷺ على الحوض :

يسقى بها السني أعذب شربة ... ويذاد كل مخالف فتان

يا من موعدك مع نبيك ﷺ على الحوض قل :

ومما زادني عزا وفخراً ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

---

(١) في قولهم التطرف فما صدقوا والله فالله يقول { وكذلك جعلناكم أمة وسطاً} أما قولهم الأصولية والرجعية فقد صدقوا فالأصولية من تمسكوا بالأصلين الكتاب والسنة والرجعية من رجع إلى الكتاب والسنة وهو شرف أيما شرف .

(٢) فرط:أي سابقكم إلى الحوض .

(٣) البخاري (١٣٤٤،٣٥٩٦،٤٠٨٥،٦٤٢٦،٦٥٩٠) مسلم (٢٢٩٦) أحمد (٤/١٤٩،١٥٣،١٥٤) النسائي (٤/٦١-٦٢/١٩٥٣) .

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

وهذه المترلة لا تكون ولا تحصل لمجوسي أو علماني أو بدعي أو حداثي أو صاحب تصوف وتشوف وخلوة وطريقة ، إنما تحصل للسني يقول ﷺ : (**... وأنا فرطكم على الحوض ألا ليذادنّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، أناديهم ألا هلم فيقال : إنهم قد بدّلوا بعدك ، فأقول : سحقاً**) .

وفي لفظ : (**... فيجيبني ملك فيقول : وهل تدري ما أحدثوا بعدك**) [1] .

ولذا أخاطبه وأقول له :

يا أيها السني خذ بوصيتي واخصص بذلك جملة الإخوان [2]

نسأل الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل موعدنا ولقاءنا مع نبينا محمد بن عبد الله ﷺ على الحوض وأن يسقينا من حوضه شربة لا نظمأ بعدها أبداً .

كما نسأله تبارك وتعالى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم والشوق إلى لقائه ، وأن يجزي عنا نبينا محمداً ﷺ بما هو أهله ، وأن يجزيه عنا خير ما جزى نبياً عن أمته وأن يحيينا على سنته ويتوفانا على ملته وأن يحشرنا في زمرته.

---

(١) أخرجه مسلم – نووي – (٣/١٣٦-١٣٩) .

(٢) من نونية القحطاني (ص١٧-١٥) .

الخاتمة

تحتوي على

١- موعظة .

٢- من كتب في هذا البحث كتابة مستقلة .

٣- ملحق (أحاديث لم تثبت في هذا الباب) .

الخاتمة

موعظة

وفي ختام هذه الرسالة أقول :

إذا كان الأنبياء والرسل وهم أحب الخلق إلى الله تعالى وقد ماتوا فهذا يدل على أنه لا يبقى على وجه الكون أحد من المخلوقات كما يدل على أن الدنيا متاع زائل ومتاع الغرور الذي لا يدوم ولا يبقى للإنسان من تعبه وماله إلا ما كان يُبتغى به وجه الله تعالى وماعدا ذلك يكون هباءً منثوراً .

ولله در القائل :

واذكر الموت تجد راحة في اذكار الموت تقصير الأمل

فإن من قصر أمله وجعل الموت أمام ناظريه عمل للآخرة واستفاد من كل لحظة من لحظات عمره في طاعة الله وتحسر على كل وقت أضاعه بدون عمل صالح يقربه إلى الله عز وجل زلفى وهو لما قدم فرح مسرور بالانتقال إلى الدار الآخرة . قال أبوحازم : كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت ...

يقول تعالى : { كل نفس ذائقة الموت } إطلاق لا قيد فيه وعموم لا مخصص له وشمول ليس للدنيا كلها أن تجعل له حداً ولقد كان من اليسير على الله عز وجل أن يجعل مرتبة رسوله ﷺ فوق مستوى الموت وآلامه ولكن الحكمة الإلهية شاءت أن يكون قضاء الله تعالى في تجرع هذا الكأس بشدتها وآلامها عاماً لكل أحد مهما كانت درجة قربه من الله جل جلاله . حتى يعيش الناس في معنى التوحيد فلا ألوهية إلا لله وحده ولا حاكمية إلا لذلك الذي تفرد بالبقاء فهذا الذي لا مرد لقضائه ولا حدود لسلطانه ولا مخرج من حكمه ولا غالب على أمره .

وحتى يدركوا جيداً { إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً } فليس لأحد أن يتمطى ليعلو بنفسه عن مستوى العبودية بعد أن عاش رسول الله ﷺ خاضعاً لحكمها

ونزل به قضاؤها وليس لأحد أن لا يكثر من ذكر الموت وسكرته بعد أن عانى رسول الله ﷺ من برحائها وغشيته آلامها وصدق الله ﷻ : { إنك ميت وإنهم ميتون })[1] .

وما أحسن ما يقول الشاعر الحكيم :

كيف تلتذ جفوني بالمنـــــام بعد شرب المصطفى كأس الحمام

أم لقلبي راحة من بــعـــده وجفوني بالبكاء سحـــت دوام

إن يكن غاب عن الدنيا ففـــي جـنة الخلد له أعلى مقـــام

لكن المقدور حتـــم لازم مـــالنا من بأسه من اعتصـام

ليس في الدنيا بقاء لامــــرئ بعد موت المصطفى خير الأنـــام

فمثل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات ونزل بك الأنين والغمرات فمن قـــائل يقول : إن فلاناً قد أوصى وماله قد أحصى ومن قائل يقول : إن فلاناً ثقل لســانه فـلا يعرف جيرانه ولا يكلم إخوانه ...

فكأني أنظر إليك تسمع الخطاب ولا تقدر على رد الجواب ثم تبكـــي ابنتــك وهـي كالأسيرة وتتضرع وتقول : حبيبي أبي .. من ليتمي من بعدك ؟ ومن لحـاجتي ؟ وأنـت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب .

وانشدوا :

وأقبلت الصغرى تمرغ خدهـــا على وجنتي حيناً وحيناً على صدري

وتخمش خديها وتبكي بحرقـــة تنادي :أبي إني غلبت على الصـــبر

حبيبي أبي من لليتامى تركتهــــم كأفراخ زغب في بعيد من الوكـــر

فخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أُخذت من فراشك إلى لوح مغتســلك فغســلك الغاســل وألبست الأكفان وأوحش منك الأهل والجيران وبكت عليك الأصحاب والإخوان :

ويقول الآخر :

صروف الحتف مترعة الكؤوس تدار على الرعايا والــرؤوس

---

(١) فقه السيرة للبوطي (ص٤٦١) .

فلا تتبع هواك فكل شخص يصير إلى بلىً وإلى دروس

وخف من هول يوم قمطرير مخوف شره ضنك عبوس

فمالك غير تقوى الله زادا وفعلك حين تقبر من أنيس

فحسنه ليعرض مستقيماً ففي الاثنين يعرض والخميس

وقال الآخر :

استعدي للموت يا نفس واسعي لنجاة فالحازم المستعد

قد تيقنت أنه ليس للـ حي خلود ولامن الموت بد

إنما أنت مستعيرة ماسو ف تردين والعواري ترد

وقال الآخر :

فما أهل الحياة لنا بأهل ولا دار الفناء لنا بدار

وما أموالنا والأهل فيها ولا أولادنا إلا عواري

وأنفسنا إلى أجل قريب سيأخذها المعير من المعار

وقال الآخر :

ألا للموت كأس أي كأس وأنت لكأسه لابد حاسي

إلى كم والممات إلى قريب تذكر بالممات وأنت ناسي

أمالك عبرة فيمن قرضتهم الشهور في الماضي من السنين؟.. أمالك فكرة فيمن صرع قبلك من الأنام من شيخ وكهل وشاب وطفل وجنين .. أما اعتبرت بمن قبرت من صديق وشقيق وخليل وقرين ..

إلى متى تلتفت إلى العلائق كأنك ما أنت بالموت على يقين ..أغرتك المهلة أم جاد الزمان لك بيقين ..

بالله عليك اقبل نصحي قبل أن يعرق منك الجبين .. ويشتد نزعك والأنين .. ويبكى عليك بماء الدمع المعين .. وتصير في قبر مظلم لا يظهر فيه النور ولا يبين.. ويبقى فيه كل امرئ بما كسب رهين ..

فإذا كان قد مات صاحب المقام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود ..فكيف بك

وكيف حالك أيها المطرود .. يا من يغتر بدهر لا يدوم .. يامصراً على المظالم والظلم -والله- شوم يا من يروع الناس بظلمه وعند الله تجتمع الخصوم ... .

يا نفس لا بالموت تعتبري ولا ... تصغي لقول الدهر حين يقول
يا نفس بعد المصطفى أفتطمعي ... في الخلد كلا ما إليه سبيـــل
يا نفس كم تعصي إلهك جهرة ... والـــقلب مني بالذنوب عليل
يـــا نفس توبي من ذنوبك إنه ... من يعصِ رب العرش فهو ذليل
يا نفس كم تعصِ وربك ناظر ... ويرى فعالك والدجى مسدول
كيف الطريق إلى النجاة وإنني ... بقيود ذنبي دائماً مغلـــــول
ما حيلتي إلا البكاء وقد غدا ... حزني على قبح الذنوب يطـــول
من بعد موت المصطفى هل لامرئ ... الدهر يوماً للبقاء سبـــيل [١] .

ورحم الله القائل حيث يقول :

ولو كانت الدنيا تدوم لأهلهـــا ... لكان رسول الله حيا يخلـــــد
أترقد يا مغرور والنار توقـــد ... فلا حرها يطفى ولا الجمر يخمـد
فيا راكب العصيان ويحك خلـــها ... فتحشر عطشاناً ووجهك أســـود
فكم بين مشغول بطاعة ربـــه ... وآخر بالذنب الثقيل مقيـــــد
فهذا سعيد في الجنان منعـــم ... وذاك شقي في الجحيم مخلـــد
كأني بنفسي في القيامة واقـــف ... وقد فاض دمعي والـــفرائص ترعد
وقد نصب الميزان للفصل والقضا ... وقد قام خير العالـــمين محمد

وقال آخر :

كأن أهلك قد دعوك فلم ... تسمع وأنت محشرج الصدر
وكـــأنهم قد قلبوك على ... ظهر السرير وأنت لا تدري
وكأنهم قد زودوك بمـــا ... يتزود الهلكى من العطـــر

---

(١) مرض النبي ﷺ ووفاته (١٧٧-١٨٤) باختصار وزيادات .

أخي الحبيب :

يـــا ليت شعري كيف أنت إذا غسلـــت بـــالكافور والسدر
أو ليت شعري كيف أنت على نبش الـــــضريح وظلمة القبر
يا ليـــــت شعري ما أقول إذا وضع الكتاب صـــبيحة الحشر
يـــــا سوأتا مم اكتسبت ويا أسفى على ما فات من عمري
ألا أكون عقلت شأني فاســـ ـــتقبلت ما استدبرت من أمري

مر رجل على المقابر فقال :

ساكني الأجداث أنتم مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعري ما صنعتم هل ربحتم أم خسرتم

وقال الآخر :

متى يستقيم الظل والعود أعـــوج وهل ذهب صرف يساويه بهرج
ومن رام إخراج الزكاة و لم يجـــد نصاباً يزكيه فمن أين يُخـــرج
هي النفس والدنيا وإبليس والهوى بطاعتهم عن طـــاعة الله أزعج
أروح وأغدو شارباً كأس غفلـــة بماء الأماني الكواذب يمـــــزج
وأمسي وأضحي حاملاً في بطاقتي ذنوباً تكاد الأرض منهن تخرج
إذا قلت للنفس استعدي بتوبـــة أبت وشقي الحظ لا يتحجـــج
وإن قلت للقلب استقم بي تعرضت له شهوات نارها تتأجـــــج
فكم أتزيا بالعبادة والتقـــــــى رياءً وباب الرشد دوني مرتج
أُريد مقام الصالحين وليس لـــي كمنهجهم في الدين دين ومنهـــج
وإن حضر الإخوان للذكر والبكا حضرت كأني لاعب متفـــرج
فواخجلتي شيب وعيب وقد دنا رحيلي ولا أدري علام أعرج
وللمرء يوم ينقضي فيه عمـــره وموت وقبر ضيق فيه يولـــج
ويلقى نكيراً في السؤال ومنكراً يسومان بالتنكيل من يتلجلج
ولا بد من طول الحساب وعرضه وهول مقام حَرُّهُ يتوهـــــج

وديان يوم الدين يبرز عرشه ويحكم بين الخلق والحق أبلج

فطائفة في جنة الخلد خلدت وطائفة في النار تصلى فتنضج

فياشوم حظي حين ينكشف الغطا إذا لم يكن لي من ذنوبي مخرج (*)

تنبيه :

لقد تضمن ما سقناه في هذه الرسالة دروساً وعظات وعبراً وأحكاماً غير ما ذكرنا يستطيع المرء أن يستنبطها بيسر إذا قرأ هذه الرسالة بتأنٍ وتروٍ وحضور قلب ، ففي قول رسول الله ﷺ أسوة حسنة حياً وميتاً وفعلاً وقولاً ، وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين .

(*) شرح ديوان البرعي لمحمد سعيد كمال (ص٢١٨،٢١٩) .
ومن الجدير بالذكر أن هذا الديوان لمؤلفه عبد الرحيم البرعي مليء بالشرك والدجل والخرافة ، ولا غرابة فهو صوفي قبوري خرافي ، وقد أجاد وأفاد شارحه فبيَّن ذلك ودلل على بطلان كثير من هذه القصائد ، وتوجد فيه أبيات وعظية جيدة سليمة منها هذه الأبيات التي ذكرناها .

من كتب في هذا الموضوع كتابة مستقلة

أذكر بعض من كتب في هذا الموضوع كتابة مستقلة (حسب علمي واطلاعي القاصر) :

(١) خالد أبو صالح : إجازة في الدعوة والدراسات الإسلامية بعنوان مرض النبي ﷺ ووفاته وأثرها على الأمة دراسة توثيقية .

(٢) سعيد علي وهف القحطاني بعنوان وداع الرسول ﷺ لأمته ودروس ووصايا وعبر وعظات .

(٣) ابو تراب الظاهري بعنوان ذهول العقول بوفاة الرسول .

(٤) الإمام النسائي بعنوان كتاب الوفاة "وفاة النبي ﷺ" .

(٥) حسين عودة العوايشة بعنوان مصيبة موت النبي ﷺ وأثرها في حياة الأمة .

{ ملحق }

أحاديث لم تثبت في وفاته صلى الله عليه وسلم

وفي ختام هذا البحث أحببت ذكر بعض الأحاديث التي لم تثبت في وفاته ﷺ تنويهاً عليها وتتميماً للفائدة .

أحاديث لم تثبت في وفاته - صلى الله عليه وسلم -

[١] ذكر صاحب المواهب اللدنية عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : (لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد إن الله قد أرسلني إليك إكراماً لك وتفضلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول : كيف تجدك ؟ فقال أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم جاء في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن فيه ملك الموت فقال جبريل يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك و لم يأذن على نبي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك قال إئذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله إن الله عز وجل أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمر إن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها فقال جبريل يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك فقال ﷺ فامض ياملك الموت لما أمرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئي من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي ﷺ وجاءت التعزية سمعوا صوتاً من ناحية البيت : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاًمن كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال علي : أتدرون من هذا ؟ هو الخضر عليه السلام) [1] .

---

(١) المطالب العالية (٤/٤٣٢٩) البيهقي في دلائله (٧/٢١٠-٢١١) ومجمع الزوائد (٨/ح١٤٢٦١) تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي [المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار (٢/٤٤١٢)] .
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني تحقيق صالح أحمد الشامي (٤/٥٤١-٥٤٢) السيرة النبوية لابن كثير (٢/٥٠٣) وقال : (وهذا الحديث مرسلاً وفي إسناده ضعف) ذهول العقول (٦٦-٦٧) .

[٢] قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نعي إلينا حبيبنا ونبينا ﷺ قبل موته بست جمعنا في بيت عائشة فنظر إلينا فدمعت عيناه ثم قال : مرحباً بكم .. وحياكم الله.. وحفظكم الله .. وآواكم الله .. ونصركم الله .. رفعكم الله.. هداكم الله.. رزقكم الله.. وفقكم الله.. سلمكم الله .. أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم وإني نذير مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده فإن الله ﷻ قال لي ولكم { تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين } [(١)] .

وقال ﷻ : { أليس في جهنم مثوى للمتكبرين } [(٢)] .

ثم قال : قد دنا الأجل والمنقلب إلى الله إلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى فقلنا يا رسول الله فمن يغسلك إذاً ؟ قال رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى قلنا ففيم نكفنك قال ثيابي هذه إن شئتم أو حلة يمانية أو في بياض مصر قلنا فمن يصلي عليك منا ؟ فبكينا وبكى وقال مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً إذا غسلتموني ووضعتموني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري فاخرجوا مني ساعة فإن أول من يصلي علي خليلي وجليسي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده ثم الملائكة عليهم السلام ثم ادخلوا علي فوجاً فوجاً فصلوا علي وسلموا تسليماً ولا تؤذوني بباكية ولاصارخة ولارانة وليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتي ثم أنتم بعد واقرؤا أنفسكم مني السلام ومن غاب من إخواني فاقرؤا مني السلام – وأحسبه قال -عليه وعلى كل من تابعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة قلنا يا رسول الله فمن يدخلك في قبرك منا؟

وقال محقق " الوفاء بأحوال المصطفى " لمصطفى عبد الواحد : (الحديث أخرجه البيهقي في الدلائل والطبراني والشافعي ، وإسناده معضل – شرح المواهب اللدنية (٣٢٩/٥) –) .

۞ **فائدة :** قال ابن القيم رحمه الله في كتاب المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص٦٧) : (ومنها – أي من الأحاديث الباطلة – : الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد) ثم دلل رحمه الله وعلل كعادته رحمه الله تعالى .

(١) القصص (٨٣) .

(٢) الزمر (٦٠) .

قال : رجال أهل بيتي مع ملائكة يرونكم من حيث لا ترونهم)[١] .

[٣] ومما لم يثبت ما روي عن علي رضي الله عنه قال : لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعتها على عينها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليَّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا[٢]

[٤] ومما لم يثبت ما ذكر من بعد موته ﷺ من حزن حماره عليه - المسمى يعفور - حتى تردى في بئر وكذا ناقته ﷺ من أنها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت[٣] .

[٥] ومما لم يثبت : ما روي عن عائشة رضي الله عنها[٤] أنها قالت : (ما مات رسول الله ﷺ إلا من ذات الجنب[٥]) .

---

(١) المطالب العالية (٤/٤٣٣٢) مرض النبي ﷺ ووفاته وأثر ذلك على الأمة دراسة توثيقية اعداد خالد أبوصالح صفحة (١٥٥-١٥٦) مجمع الزوائد (٩/٢٤) الدلائل للبيهقي (٧/٢٣١) البداية والنهاية (٥/٢٥٣-٢٥٤) الرقة والبكاء لابن قدامة تحقيق محمد خير رمضان يوسف صفحة (رقم ٤٧ ، ص٥٩) أخذ العبرة من ذرف الرسول ﷺ للعبرة تأليف مجدي قاسم رقم الحديث (٢٧) فوائد حديثية لابن القيم تحقيق مشهور حسن آل سلمان والقيسي (٧٩) والروض الأنف للسهيلي تحقيق عبد الرحمن الوكيل (٧/٥٩٠) المغني عن حمل الأسفار (٢/٤٤٠٠) ذهول العقول (٩٦،١٠٥،١٠٦) السيرة النبوية لابن كثير (٢/٤٨٣،٤٨٤) المواهب اللدنية (٤/٥٣٤) وقال : (واهٍ جداً) .

(٢) الرقة والبكاء لابن قدامة تحقيق محمد خير رمضان يوسف صفحة (١٤٢) سير أعلام النبلاء (٢/١٣٤) تحفة الزوار (٢٢،٢٣) م أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة لأحمد النجمي (٢٩٦-٢٩٧) ذهول العقول (١٢٥) .

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية تحقيق الشامي (٤/٥٦٨) كما ذكره ابن حبان في الضعفاء وقال لا أصل له المجروحين (٢/٣٠٨-٣٠٩) وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٩٤) اللآلئ المصنوعة (١/٢٥٣) وقال الزرقاني : (لا أصل له) (٨/٢٩٧) ، كتاب الشفا (١/٢٣٦) الميزان (٦/٨١٦٩) ذهول العقول (١٢٩) .

(٤) أبو يعلى في مسنده (٨/٤٨٤٣) [المقصد العلي (رقم ٤٥٧)] مجمع الزوائد (٩/٣٤) .

وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٤/٢٥٦) : هذا الحديث من منكرات ابن لهيعة وهو متعارض مع الحديث الوارد في الصحيح) قال البوصيري [في إتحاف السادة المهرة (المختصر) (٣/١٧٤رقم ٢٤٠٧)] رواه أبو يعلى وهو منكر وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال : (**ذاك ما كان الله ليعذبني به**) . وضعفه ابن حجر أيضاً في الفتح (٧/٧٥٥) [انظر : مرض النبي ﷺ ووفاته لخالد أبو صالح (ص١١٩-١٢٠)] .

(٥) ذات الجنب هي الدبيلة والدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر إلى الداخل وقلما يسلم صاحبها .

[٦] ومما لم يثبت : أنه لمـّا شك في موت النبي ﷺ قال بعضهم : قد مات ، وقال بعضهم : لم يمت ، فوضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفي رسول الله ﷺ فقالت : قد توفي رسول الله ﷺ قد رفع الخاتم بين كتفيه ، فكان هذا الذي عرف به موته [١] .

[٧] خبر مجيء بلال رضي الله عنه إلى المدينة وتمرغه على قبر النبي ﷺ ، ثم أذانه وخروج أهل المدينة باكين [٢] .

[٨] أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أحمد بن محمد الحداد أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن أحمد ثنا عبد المنعم بن ادريس بن سفيان عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر وابن عباس عن جابر وابن عباس رضي الله عنهما قالا : (لمَّا نزلت { إذا جاء نصر الله والفتح } إلى آخر السورة ، قال النبي ﷺ : يا جبريل نفسي نُعِيَت . قال جبريل : الآخرة خير لك من الأُولى ولسوف يُعْطيك ربك فترضى . فأمر الرسول ﷺ بلالاً ينادي الصلاة جامعة ، فاجتمع المهاجرون والأنصار إلى مسجد رسول الله ﷺ فصلّى الناس ، ثم صعد المنبر فحمد الله جل جلاله وأثنى عليه ، ثم خطب خطبة وجبت منها القلوب وبكت منها العيون ، ثم قال : ((**أيها الناس إني نبي كنت لكم**)) فقالوا : جزاك الله من نبي خيراً ، فقد كنت لنا كالأب الرحيم وكالأخ الناصح المشفق ، أديت رسالة الله جل جلاله وأبلغتنا وحيه ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي تحقيق القلعجي (٢١٩/٧) ذهول العقول (٤٠) البداية والنهاية (٢٤٤/٥) السيرة النبوية لابن كثير تحقيق أحمد عبدالشافي (٤٧٥/٢) . قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى : (وهكذا أورده الحافظ البيهقي في كتابه دلائل النبوة من طريق الواقدي وهو ضعيف وشيوخه لم يسمون ، ثم هو منقطع بكل حال ومخالف لما صح وفيه غرابة شديدة وهو رفع الخاتم فالله أعلم بالصواب) .

(٢) ذكر الشيخ عبد العزيز محمد السدحان في كتابه كتب أخبار رجال أحاديث تحت المجهر (٤٠/١) ما نصه :
< وأما خبر مجيء بلال رضي الله عنه إلى المدينة وتمرغه على قبر النبي ﷺ ثم أذانه وخروج أهل المدينة باكين فقد أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة إبراهيم بن محمد بن سليمان وأبو أحمد الحاكم وأشار إلى القصة الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (١٠٧/١)وقال : (هي قصة بينة الوضع) . وأشار إلى الخبر أيضاً الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص٢١) وقال : (لا أصل له) . وذكر الخبر قبلهما ابن عبد الهادي في الصارم المنكي صفحة (٣١٠) وقال بعد أن ساقه : (وهو أثر غريب منكر وإسناده مجهول وفيه انقطاع) . وقال ابن حزم في المحلى (١٥٢/٣) : (وقد ذكرنا ما لا يختلف فيه اثنان من أهل النقل أن بلالاً رضي الله عنه لم يؤذن قط لأحد بعد موت رسول الله إلا مرة واحدة بالشام ولم يتم أذانه فيها > .
وانظر قصص لا تثبت (٣٥/١-٣٩) . قال الذهبي [سير أعلام النبلاء (٣٥٨/١)] : (إسناده لين وهو منكر) .

فجزاك الله عنا أفضل ماجازى نبياً عن أمته ، فقال لهم : ((**معاشر المسلمين أنا أنشدكم بالله وبحقي عليكم ، من كانت له قِبَلي مظلمة فَلْيَقُم فليقتص منّي**)) فلم يقم إليه أحد ، فناشدهم الله ، فلم يقم أحد ، فناشدهم الثالثة (**معاشر المسلمين من كان له قِبَلي مظلمة فَلْيَقُم فليقتص منّي قبل القصاص في يوم القيامة**) فقام من بين المسلمين شيخ كبير يقال له عكاشة ، فتخطّى المسلمين حتّى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال : فداك أبي وأمي ، لولا أنك ناشدتنا مرة بعد مرة أخرى ما كنت بالذي أتقدم علي منك ، كنت معك في غزاة ، فلما فتح الله علينا وكنا في الانصراف حاذت ناقتي ناقتك ، فنزلت عن الناقة ودنوت منك لأقبل فخذك فرفعت القضيب فضربت خاصرتي ، فلا أدري أكان عمداً منك ، أم أردت ضرب الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((**يا عكاشة أُعيذك بجلال الله أن يتعمدك رسول الله ﷺ بالضرب ، يا بلال انطلق إلى منزل فاطمة وائتني بالقضيب الممشوق**)) فقالت فاطمة : وما يصنع أبي بالقضيب الممشوق وليس هذا يوم حج ولا يوم غزاة ؟ فقال : يا فاطمة ما أغفلك عمّا فيه أبوك ، إن رسول الله ﷺ يودع الدين ويفارق الدنيا ويعطي القصاص من نفسه ، فقالت فاطمة : يا بلال ، من الذي تطيب نفسه أن يقتص من رسول الله ﷺ ، يا بلال أذن فقل للحسن والحسين يقومان إلى هذا الرجل فيقتص منهما ولا يدعانه يقتص من رسول الله ﷺ ، فدخل بلال المسجد ودفع القضيب إلى رسول الله ﷺ ، فدفع رسول الله ﷺ القضيب إلى عكاشة ، فلما نظر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، قاما فقالا : يا عكاشة ، هانحن بين يديك ، فاقتص منا ولا تقتص من رسول الله ﷺ ، فقال لهما النبي ﷺ : ((**إمضِ يا أبي بكر وأنت يا عمر فقد عرف الله ﷻ مكانكما ومقامكما**)) فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا عكاشة إنّا في الحياة بين يدي رسول الله ﷺ ولا تطيب نفسي أن تضرب رسول الله ﷺ فهذا ظهري وبطني اقتص منّي بيدك واجلدني مائة ولا تقتص من رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : ((**اقعد يا علي فقد عرف الله ﷻ مقامك ونيّتك**)) وقام الحسن والحسين عليهما السلام فقالا : يا عكاشة أليس تعلم أنا سبطا رسول الله ﷺ ؟ فالقصاص منا كالقصاص من

رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ : ((**اقعدا يا قرة عيني لا نسى الله لكما هذا المقام**)) فقال النبي ﷺ : ((**يا عكاشة اضرب إن كنت ضارباً**)) فقال : يا رسول الله ضربتني وأنا حاسرٌ عن بطني ، فكشف عن بطنه ﷺ وصاح المسلمون بالبكاء ، وقالوا : نرى عكاشة ضارباً رسول الله ﷺ ؟ فلما نظر عكاشة إلى بياض بطن رسول الله ﷺ كأنه القباطي لم يملك أن أكب عليه فقبَّل بطنه وهو يقول : فداك أبي وأمي ومن تطيق نفسه أن يقتص منك ؟ فقال النبي ﷺ : ((**إما أن تضرب وإما أن تعفو**)) فقال : قد عفوت عنك رجاء أن يعفو الله عني في القيامة ، فقال النبي ﷺ : ((**من أراد أن ينظر إلى رفيقي في الجنة فلينظر إلى هذا الشيخ**)) فقام فجعلوا يقبلون ما بين عينيه ، ويقولون : طوباك طوباك نلت الدرجات العلى ومرافقة رسول الله ﷺ .

فمرض رسول الله ﷺ من يومه وكان مرضه ثمانية عشر يوماً يعوده الناس ، وكان ﷺ وُلد يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين ، فلما كان يوم الأحد ثقل مرضه فأذن بلال ﷺ ثم وقف بالباب فنادى السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله ، فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال ، فقالت فاطمة : يا بلال إن رسول الله ﷺ مشغول بنفسه . فدخل بلال المسجد ، فلما أسفر الصبح قال : والله لا أقيمها أو أستأذن سيدي رسول الله ﷺ ، فرجع وقام بالباب ونادى السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، الصلاة رحمك الله ، فسمع الرسول ﷺ صوت بلال فقال : ((**ادخل يا بلال فإن رسول الله ﷺ مشغول بنفسه مروا أبي بكر فليصلي بالناس**)) .

فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول واغوثاه بالله وانقطاع رجائي انقصام ظهري ليتني لم تلدني أمي وإذ ولدتني لم أشهد من رسول الله ﷺ هذا اليوم ، ثم قال : يا أبا بكر ألا إن رسول الله ﷺ أمرك أن تصلي بالناس .

فتقدم أبو بكر وكان رجلاً رقيقاً فلما نظر إلى خلو المكان من رسول الله ﷺ لم يتمالك أن خر مغشياً عليه وصاح المسلمون بالبكاء ، فسمع رسول الله ﷺ ضجيج الناس ، فقال : ((**ما هذه الضجة ؟**)) فقالوا : ضجة المسلمين لفقدك يا رسول الله .

فدعا النبي ﷺ علياً والعباس فاتكأ عليهما فخرج إلى المسجد ، فصلى بالناس ركعتين

خفيفتين ثم أقبل بوجهه المليح عليهم فقال : ((يا معشر المسلمين : أستودعكم الله ، أنتم في رجاء الله وأمانه ، والله خليفتي عليكم ، معاشر المسلمين عليكم باتقاء الله وحفظ طاعته من بعدي فإني مفارق الدنيا ، هذا أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا)) فلما كان يوم الاثنين اشتد به الأمر ، فأوحى الله ﷻ إلى ملك الموت أن اهبط إلى حبيبي وصفيي محمد في أحسن صورة وارفق به في قبض روحه ، فهبط ملك الموت فوق الباب شبه أعرابي ثم قال : السلام عليكم يا أهل النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ... أدخل ؟ فقالت عائشة لفاطمة : آجرك الله في ممشاك ، يا عبد الله إن رسول الله ﷺ مشغول بنفسه ، فنادى الثانية ، فقالت عائشة يا فاطمة أجيي الرجل ، فقالت : آجرك الله في ممشاك ، يا عبد الله إن رسول الله ﷺ مشغول بنفسه ، ثم عاد الثالثة : السلام عليكم يا أهل النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ادخل فلا بد من الدخول ، فسمع رسول الله ﷺ صوت ملك الموت فقال : ((يا فاطمة من بالباب ؟)) فقالت : يا رسول الله إن رجلاً بالباب استأذن في الدخول فأجبناه مرة بعد أخرى فنادى في الثالث صوتاً اقشعر منه جلدي وارتعدت منه فرائصي ، فقال لها النبي ﷺ ((يا فاطمة أتدرين من بالباب ؟ هذا هادم اللذات ومفرق الجماعات هذا مرحل الأزواج وموتم الأولاد ، هذا مخرب الدور وعامر القبور ، هذا ملك الموت ، ادخل يرحمك الله يا ملك الموت)) فدخل ملك الموت على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : ((يا ملك الموت جئتني زائراً أم قابضاً)) قال جئتك زائراً وقابضاً ، وأمرني ربي ﷻ أن لا أدخل عليك إلا بإذنك ولا أقبض روحك إلا بإذنك ، فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي ، فقال رسول الله ﷺ : ((يا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل ؟)) قال خلفته في السماء الدنيا والملائكة يعزونك فيه .

فما كان أسرع أن أتاه جبريل فقعد عند رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : (يا جبريل هذا الرحيل من الدنيا فبشرني بما لي عند الله)) فقال : أبشرك يا حبيب الله أني تركت أبواب السماء قد فُتِّحت والملائكة قد قاموا صفوفاً صفوفاً بالتحية والريحان ، يحيون روحك يا محمد ، فقال : ((لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل)) قال أبشرك أن أبواب الجنة قد

فتحت وأنهارها قد أطردت وأشجارها قد تدلت وحورها قد زينت لقدوم روحك يا محمد قال : لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل . قال أبواب النيران قد أطبقت لقدوم روحك يا محمد . قال لوجه ربي الحمد فبشرني . قال : أنت أول شافع وأول مشفع في القيامة . قال : لوجه ربي الحمد فبشرني . قال جبريل : يا حبيبي عم تسألني . قال : أسألك عن غمي وهمي ، من لقراء القرآن من بعدي ؟ من لصوام رمضان من بعدي ؟ من لحجاج بيت الله الحرام من بعدي . من لأمتي المصطفاة من بعدي ؟ قال : أبشر يا حبيب الله ، فإن الله ﷻ يقول : قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك يا محمد . قال : الآن طابت نفسي أدن يا ملك الموت فانته كما أمرت .

فقال علي ﷺ : إذ أنت قبضت فمن يغسلك أو فيم نكفنك ؟ ومن يصلي عليك ؟ ومن يدخلك القبر ؟ . فقال النبي ﷺ : (أما الغسل فاغسلني أنت وابن عباس يصب عليك الماء وجبريل ثالثكما ، فإذا فرغتم من غسلي فكفنوني في ثلاثة أثواب جدد وجبريل يأتيني بحنوط من الجنة ، فإذا أنتم وضعتموني على السرير فضعوني في المسجد واخرجوا عني ، فإن أول من يصلي عليّ الرب من فوق عرشه ثم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم الملائكة زمراً زمراً ، ثم ادخلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً لا يتقدم علي أحد . فقالت فاطمة : اليوم الفراق فمتى ألقاك ؟ فقال لها : (يا بنية ، تلقيني يوم القيامة عند الحوض وأنا أسقي من يرد علي الحوض من أمتي . قالت : فإن لم ألقاك يا رسول الله ، قال : (تلقيني عند الميزان وأنا أشفع لأمتي . قالت : فإن لم ألقاك يا رسول الله . قال : (تلقيني عند الصراط وأنا أنادي رب سلم أمتي من النار . فدنا ملك الموت فعالج قبض روح رسول الله ﷺ فلما بلغ الروح إلى الركبتين ، قال النبي ﷺ : (واكرباه) فقالت فاطمة : كربي لكربك يا أبتاه ، فلما بلغ الروح البندوة (الثدوة) قال النبي ﷺ : (يا جبريل ما أشد مرارة الموت) فولى جبريل وجهه عن رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ كرهت النظر إلي ؟ فقال جبريل : يا حبيبي ومن تطيق نفسه (أن) تنظر إليك وأنت تعالج سكرات الموت ؟ فقبض رسول الله ﷺ فغسله علي بن أبي طالب وابن عباس يصب الماء وجبريل عليه السلام معهما ، فكفن بثلاثة أثواب جدد وحمل على السرير ثم أدخلوه المسجد ووضعوه في المسجد

وخرج الناس عنه ، فأول من صلى عليه الرب من فوق عرشه تعالى وتقدس ، ثم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم الملائكة زمراً زمراً . قال : قال علي ﷺ : لقد سمعنا في المسجد همهمة ولم نر لهم شخصاً ، فسمعنا هاتفاً يهتف ويقول : ادخلوا رحمكم الله فصلوا على نبيكم ﷺ . فدخلنا فقمنا صفوفاً كما أمرنا ﷺ فكبرنا بتكبير جبريل وصلينا على رسول الله ﷺ بصلاة جبريل ما تقدم منا أحد على رسول الله ﷺ . ودخل القبر علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو بكر ودفن رسول الله ﷺ فلما انصرف الناس قالت فاطمة لعلي : يا أبا الحسن دفنتم رسول اله ﷺ ؟ قال : نعم . قالت : كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله ﷺ ؟ أما كان في صدوركم لرسول الله ﷺ الرحمة ؟ أما كان معكم الخير ؟ قال : بلى يا فاطمة ، ولكن أمر الله ﷻ الذي لا مرد له . فجعلت تبكي وتندب ، وهي تقول : يا أبتاه الآن انقطع عنا جبريل وكان جبريل يأتينا بالوحي من السماء) .. [(١)] .

[٩] رقد ذكر الفاكهي في الفجر المنير مما عزاه لسيف الدين ابن عمر في كتاب " الفتوح " أن الأنصار لما رأوا رسول الله ﷺ يزداد وجعاً ، أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس فأعلمه عليه السلام بمكانهم وإشفافهم ، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ، ثم دخل عليه علي بن أبي طالب كذلك ، فخرج عليه السلام متوكئاً على علي والفضل والعباس أمامه ، والنبي ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس إليه . فحمد الله وأثنى عليه وقال : (يا أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم ، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه ، فأخلد فيكم ، ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم ، فإن الله

---

(١) الموضوعات (١/٢٩٥-٣٠١) اللآلئ المصنوعة (١/٢٧٧-٢٨٧) تذكرة الموضوعات (٢١٥) الفوائد المجموعة (٣٢٤) الطبراني في الكبير (٣/٢٦٧٦) أبو نعيم في الحلية (٤/٧٣) لسان الميزان (٤/٥٣٧٠) المغني عن حمل الأسفار (٢/٤٤٠٧) تنزيه الشريعة المرفوعة (١/٣٢٧) مجمع الزوائد (٨/ح١٤٢٥٣) إتحاف السادة المتقين (١٤/١٤٣،١٤٥) وقال : إسناده ضعيف وقال الشارح ، قلت : فيه عبد المنعم بن ادريس بن سفيان عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر وابن عباس . وعبد المنعم وأبوه ضعيفان .

تعالى يقول : { والعصر إن الإنسان لفي خسر } إلى آخرها .

وإن الأمور تجري بإذن الله ﷻ ، ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله ﷻ لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ، ألم يشاطروكم في الثمار ؟ ألم يوسعوا لكم في الديار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ، ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ، ألا وإن موعدكم الحوض ، ألا فمن أحب أن يرده علي غداً فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي ، يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم ، فإذا بر الناس برَّ بهم ائمتهم وإذا فجر الناس عقوهم ...] (١) .

[١٠] حديث أنس : أغمي على النبي ﷺ فأتاه آت فقال : السلام عليك أدخل ؟ فقال من حول الرسول إن كنت من المهاجرين والأنصار فارجع ، فإن رسول الله ﷺ عنك مشغول ، فرفع رأسه فقال : من تطردون . تطردون داعي ربي ، ادخل يا ملك الموت . قال وكان أمر أن لا يدخل عليه إلا بإذنه فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لأقبض روحك . قال : تقبض روحي و لم ألق حبيبي ، يا ملك الموت ، فلقيه جبريل فقال : أين يا ملك الموت . قال : إنه سألني أن لا أقبض روحه حتى يلقاك قال : يا ملك الموت أما ترى أبواب السموات قد فتحت لحبيبه محمد ، أما ترى أبواب الجنة قد فتحت لحبيبه محمد ، أما ترى الملائكة قد نزلوا لحبيبه محمد ، فأقبلا جميعاً حتى دخلا عليه فسلما ، فقال رسول الله ﷺ : يا جبريل أبدٌّ من الموت ، قال : يا محمد وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ، كل نفس ذائقة الموت . قال جبريل : فمن لأمتي . قال : يا محمد ،كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . فقبضه ملك الموت وإن رأسه في حجر جبريل ، فلما قبض قالت

---

(١) ذهول العقول (٩٤-٩٥) المواهب اللدنية (٥٣٢/٤،٥٣٣) .

فاطمة : وا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، من ربه ما أدناه أهل السموات بالبشرى تلقاه ، والرسل به تحظى في جنان الخلد مأواه ؛ ثم إنها قعدت فقالت : إنَّا لله وإنا إليه راجعون ثم إنا لله وإنَّا إليه راجعون انقطع الخبر من السماء وما جبريل عن الله تبارك وتعالى بنازل علينا أبداً [١] .

[١١] حديث : (تعبَّد رسول الله ﷺ قبل موته بشهرين واعتزل النساء حتى صار كالشَّنِّ البالي) [٢] .

[١٢] حديث (ما مات النبي حتى قرأ وكتب) [٣] .

[١٣] حديث : (ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحاً حتى ترد إليه روحه) [٤] .

[١٤] (ما يُرْوَى أن ملك الموت صعد إلى السماء باكياً) [٥] .

[١٥] حديث علي رضي الله عنه : (أوصاني النبي ﷺ أن لا يغسله أحد غيري فإنه لا يرى أحد

---

(١) تنـزيه الشريعة (١/٣٤٠) ميزان الاعتدال (١/٤٣٨) تذكرة الموضوعات (٢١٥) .
وفيه أصرم بن حوشب . قال الذهبي في الميزان : (هذا حديث موضوع ..)

(٢) الفوائد المجموعة للشوكاني (٣٢٦) وقال : (في إسناده متروك) النكت البديعات على الموضوعات (٢٩٢) الموضوعات (١/٢٩٥) اللآلئ المصنوعة (١/٢٥٤) تنزيه الشريعة (١/٣٢٦) لطائف المعارف (١٩٨) الزخار (٩/٣٨٤٠) كشف الأستار (٣/٢٣٨٤) مجمع الزوائد (٢/٢٧٠) وقال الشامي في تحقيقه للمواهب اللدنية (٤١٢) : (قال الشارح – أي الزرقاني – : الله أعلم بحال هذا الحديث ففي الأحاديث الصحيحة . أنه لم يصل هذه الحالة وإن زاد في العبادة إلى الغاية) .

(٣) الفوائد المجموعة (٣٢٦) وأورده الهيثمي في المجمع (٨/٢٧١) وقال : (رواه الطبراني وقال هذا حديث منكر ، وأبو عقيل ضعيف ، وهذا معارض لكتاب الله جل جلاله) تفسير ابن كثير (٦/٢٩٥) تفسير القرطبي (٧/٣٢٤) .
وحكم عليه الألباني بالوضع ، انظر الضعيفة (١/٣٤٣) .

(٤) الفوائد المجموعة (٣٢٥) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/٣٣٣) وقال ابن حبان في المجروحين (١/٢٣٥) : (باطل والخشني منكر جداً يروي عن الثقات ما لا أصل له) .
وانظر : الضعيفة (١/٢٣٥) الموضوعات (١/٣٠١) اللآلئ (١/٢٨٤) تنزيه الشريعة (١/٣٣٥) ميزان الاعتدال (١/٥٢٥) تهذيب التهذيب (٢/٢٨٢) النكت البديعات على الموضوعات (٢٩٣) .

(٥) قال الشيخ حمدي السلفي والشيخ صالح الزياري في تحقيقهما لكتاب " رفع الخفا شرح ذات الشفا " للكردي (ص٣١٤) ما نصه : (نقله السيوطي في الخصائص الكبرى (٣/٣٨٨) وعلق عليه الدكتور محمد خليل هراس : (هذا غير معقول ، فإن الملائكة كانت فرحة بِقدوم روحه الشريفة عليهم ، وإنما بكاه المؤمنون في الأرض) وانظر ذهول العقول (١١٥) .

عورتي إلا طمست عيناه) [١] .

[١٦] حديث : (أن النبي ﷺ لا يبقى بعد وفاته للقيامة ألف سنة) [٢] .

[١٧] حديث : (أن النبي ﷺ توفي في حجر علي رضي الله عنه) [٣] .

[١٨] (ما يُروى أن علياً لَّما غسَّله عليه السلام امتص ماء من محاجر عينيه فشربه ، وأنه بذلك قد ورث علم الأولين والآخرين) [٤] .

[١٩] ما أخرجه العقيلي : (أنه ﷺ قال لعائشة في مرضه : ائتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ائتيني به أمضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون علي عند الموت) [٥] .

[٢٠] حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بثوبه فاختلفوا ، فكذَّب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد الغد وخلَّط آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون

---

(١) قال الشيخ حمدي السلفي والشيخ صالح الزيباري في تحقيقهما لكتاب " رفع الخفا شرح ذات الشفا " للكردي (ص٣١٠) ما نصه : ((رواه ابن سعد (٢/٢٧٨) والبزار (٨٤٨) وفي إسناده يزيد بن بلال . قال البخاري : (فيه نظر) فهو ضعيف . قال الحافظ ابن كثير في السيرة (٤/٥٢٠) : (وهذا غريب جداً) .

وانظر البيهقي في الدلائل (٧/٢٤٤) وذهول العقول (٤٩،١٦٣) والسيرة النبوية لابن كثير (٢/٤٩٠) .

(٢) تنـزيه الشريعة (١/٣٤٠) وقال : (سئل النووي عنه فأجاب باطل لا أصل له) الفوائد المجموعة (٥٠٩) .

وقد صدق رحمه الله فالواقع يكذبه فقد مضى على وفاته ﷺ أكثر من ألف عام و لم تقم الساعة وهذا مما يشهد على بطلانه .

(٣) روي من عدة طرق قال ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/٧٤٦) : (وكل طريق منها لا يخلوا من شيعي فلا يلتفت إليهم) . ذهول العقول (١٠٤) وانظر لزاماً " مرض الرسول ووفاته " (ص٥٧-٥٨) . وردها الحديث الصحيح المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها : (وقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري) . المواهب اللدنية (٤/٥٤٣) اتحاف السادة (١٤/١٤٦) وقال : (رواه الحاكم وابن سعد) والموضوعات (١/٣٩٢) وقال : (قال الدارقطني فيه متروك) . اللآلئ (١/٣٧٤) تنزيه الشريعة (١/٣٨٦) الفوائد المجموعة (٣٧٧) مختصر الزوائد١/٢٢٠ كشف٣٣٩ مجمع١/٢٩٣ .

(٤) قال النووي : (ليس بصحيح) . وأقر بعدم صحته السخاوي وغيره [ذهول العقول (١٢٠)] المواهب اللدنية (٤/٥٥٧) المقاصد الحسنة (٨٧٥) كشف الخفا (٢/١٤٩) تذكرة الموضوعات (٩٧) التمييز (١٢٨) الفوائد المجموعة (٢٨٣) الأسرار (٢٨٧) الفتاوى للنووي (١٢٢) .

(٥) قال الشامي محقق المواهب اللدنية (٤/٥٢٤) : (هذا يعارض ما ورد في الأحاديث السابقة الصحيحة التي تؤكد أنه ﷺ لم يتكلم ، وإنما فهمت عائشة رغبته من نظرته ، مما يدل على ضعفه) .

وكان عمر بن الخطاب ﷺ ممن كذّب بموته وعلي ﷺ فيمن أقعد وعثمان ﷺ فيمن أخرس ، فخرج عمر ﷺ على الناس وقال : إن رسول الله لم يمت ....) الحديث ، إلى قوله : (عند ربكم تجتمعون) (١) .

[٢١] **حديث** : (حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم) (٢) .

التعليق : أما من ناحية المتن فمن وجوه :

١) انه ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الأعمال تعرض على الله يوم الاثنين والخميس فالقول بثبوت هذا العرض على النبي ﷺ تشريكاً للمخلوق بالخالق مع أن النبي ﷺ نفسه في حياته كان يجب أن تعرض أعماله على الله وهو صائم فكيف يقال أن الأعمال تعرض عليه ﷺ .

٢) أن النبي ﷺ لما كان في الحياة الدنيوية لم يكن يعلم بأحوال من غاب عنه إلا عندما يوحى إليه والأحاديث الدالة على هذا كثيرة منها قصة الإفك فلم يعلم النبي ﷺ براءة عائشة رضي الله عنها إلا بعد نزول القرآن و قصة ضياع عقد عائشة رضي الله عنها حيث أمر بطلبه مع وجوده تحت البعير الذي تركبه عائشة رضي الله عنها ، فإذا كان ﷺ لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله في الدنيا فكيف نقول بعلمه في البرزخ .

و صدق الله : { قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من

---

(١) إتحاف السادة (١٠/٢٩٨) وفيه : (قال العراقي : هذا السياق بطوله منكر لم أجد له أصلاً) . المغني عن حمل الأسفار (٢/٤٤٠٩) ذهول العقول (١١٣،١١٤،١٤٢) وقال أبو تراب : (هذه رواية ساقطة) . الروض الأنف (٧/٥٨٥) السيرة النبوية لابن كثير (٢/٥٨٥) .

(٢) درجته : ضعيف .

انظر : القول الجلي (٨٦) الآيات البينات (١٦) م الدعاء ومترلته من العقيدة (١/٧٥٩-٧٨٢) الكامل (٣/٩٤٥) فيض (٣/٣٣٧١) القول البديع (٢٣٦) تحفة الزوار (٤٤) م الضعيفة (٢/٩٧٥) تخريج أحاديث الإحياء (٥/٣٤٥٨) المطالب (٤/٣٨٥٣) م البداية والنهاية (٥/٢٧٥) خفا (١/١١٧٨) صيانة (٢٥٨) السنن والمبتدعات (٢٦٥) الصارم (٢٦٦و٢٦٧) علامات النبوة البوصيري (١١٠) م فضل الصلاة (٢٦) م الجامع (٣٧٧١) بغية الباحث (٩٥٧) م أوضح (٢٢٥) هذه مفاهيمنا (٢٦-٩٢) الزخار (٥/١٩٢٥) م الأستار (١/٩٤٥) الصراع (٢/٨٥٦) البروق (٥٨-٦٢) الصارم (٢٠٣ - ٢٠٥) .

الخير وما مسني السوء } .

٣) أن هذا الحديث يخالف الأحاديث الصحيحة الثابتة منها حديث الحوض المتواتر حيث ورد فيه : (**ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول : أصحابي ؛ فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك**) فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على عدم علم النبي ﷺ بما أحدثه هؤلاء بعده صلوات الله و سلامه عليه فيناقض عرض الأعمال الذي يدل على علمه بأعمال أمته فهذا ضعيف و ذاك متواتر .

٤) إن العرض إنما ثبت في الصلاة على النبي ﷺ خاصة دون سائر الأعمال كما في الحديث : (**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي ، قال : فقالوا : يا رسول الله فكيف تعرض صلاتنا عليك و قد أرمت ؟ قال : يقولون : بليت ، قال ﷺ : إن الله حرم عل الأرض أجساد الأنبياء**) .

٥) ثم إنه لو ثبت عرض الأعمال لا يصح الاستدلال به على جواز الدعاء بالرسول ﷺ أو دعائه .... [١] .

هذا ما تيسر جمعه في هذه العجالة مما لم يثبت من الأحاديث في وفاته ﷺ ، وأرى من المناسب نقل كلام الإمام ابن كثير عن هذه الأحاديث وغيرها الكثير مما لم يثبت .

قال الإمام ابن كثير : (وقد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة أخباراً كثيرة فيها نكارات وغرابة شديدة أضربنا عن ذكرها صفحاً لضعف أسانيدها ونكارة متونها ولا سيما ما يورده كثير من القصاص المتأخرين وغيرهم فكثير منه موضوع لا محالة وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب وما لا يعرف سنده أو اتصل والله أعلم) انتهى كلام الإمام ابن كثير .

---

(١) الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية (٢/٧٧١-٧٨١) باختصار .

وبهذا تمت الرسالة الموسومة بـــ (وفاة سيد البشر وما فيها من الدروس والعظات والعبر) .

قرب الرحيل إلى ديار الآخـــرة فاجعل إلهي خير عمري آخــــره

وارحم مبيتي في القبور ووحدتي وارحم عظامي حين تبدوا ناخرة

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه

في غرة ربيع الأول لعام ألف وأربعمائة وثمانية عشر من هجرة سيد البشر

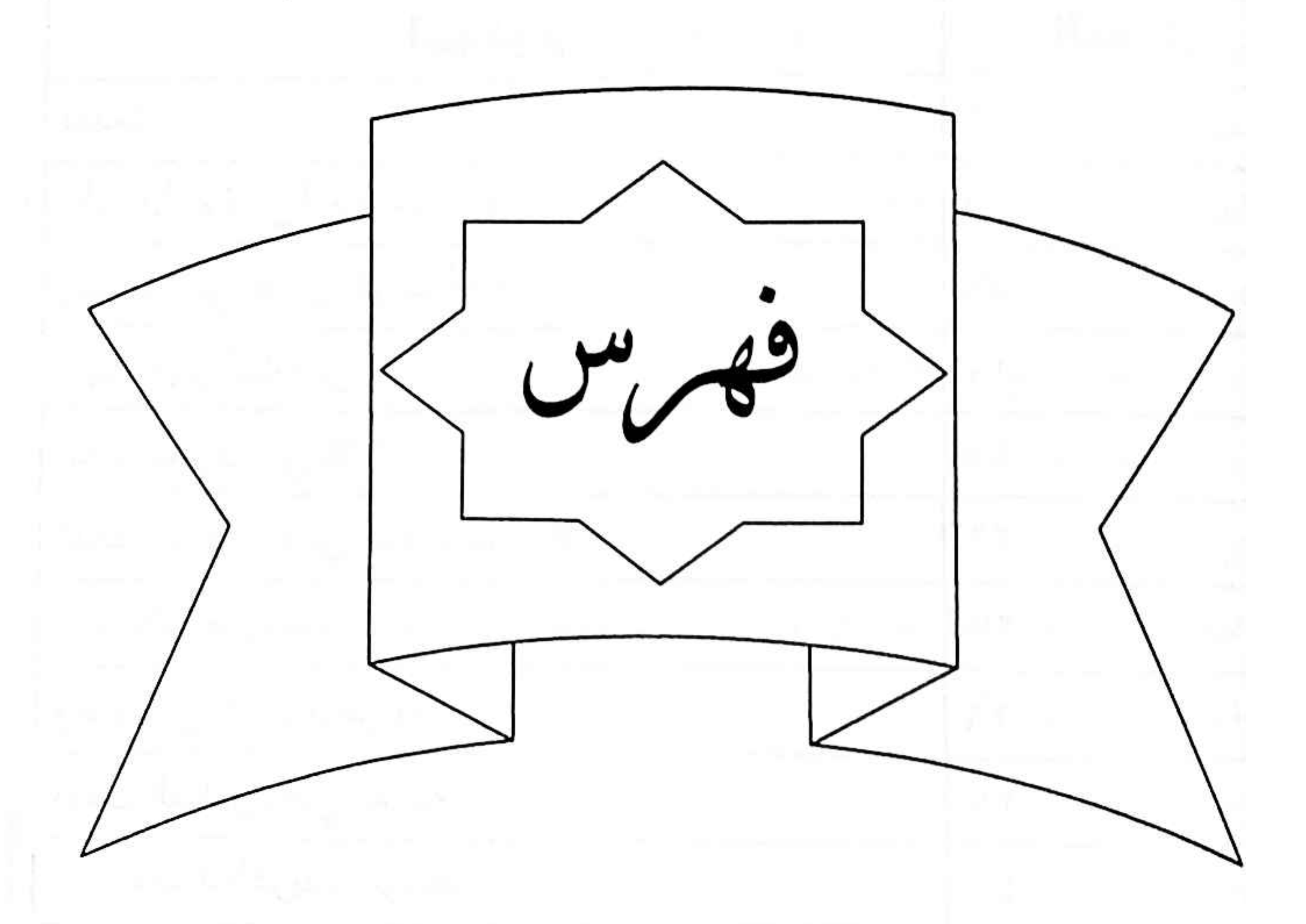
كاتب عدل الأحساء الأولى

وإمام وخطيب جامع الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

أبو عبد الملك

أحمد بن عبد الله السلمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين


فهرس


فهرس الموضوعات

فهرس الفوائد